القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجزء الثاني



Qubba and Rawda Sharif Medina Munawwara







القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجزء الثاني

تأليف

أبي الحسن علي الحسني الندوي

قام بالنشر

مكتبة الاسلام گوئن روڈ لكهنؤ

ويطلب الكتاب من مكتبة جمعية التعاون ندوة العلماء لكهنو

ومن المكاتب العربية في الهند

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

شَهَامَةُ الْيَتِيْمِ

تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ صُوْرَةَ مَسْجِدٍ، هٰذَا مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ هَلْ تَعْرِفُوْنَ مِنْ خَبَرِ هٰذَا الْمَسْجِدِ شَيْئًا؟ إِنَّ لَهُ تَارِيْخًا يَغْتَبِطُ بِهٖ كُلُّ طِفْلٍ مُسْلِمٍ!

لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى اللهِ فِي مَكَّةَ وَنَادَى فِي النَّاسِ "لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ" غَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَ كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَكَانَ فِي الْكَعْبَةِ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَ إِسْمٰعِيلُ "عَلَيْهِمَا الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ" لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ كَانَ فِي تِلْكَ الْكَعْبَةِ ثَلٰثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا فَاشْتَعَلَتْ قُرَيْشٌ غَضَبًا وَ آذَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَعَذَّبُوا الْمُسْلِمِينَ فَصَبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ وَ ثَبَتُوا لَهُمْ كَالْجِبَالِ.

وَلٰكِنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَ يَحُولُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَعِبَادَةِ اللهِ فَأَذِنَ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ أَرْضًا طَيِّبَةً لِلْإِسْلَامِ، فِي أَهْلِهَا لِينٌ وَ رِقَّةٌ قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

وَلَمَّا انْتَقَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَسَكَنَ هُنَالِكَ أَحَبَّ أَنْ يَبْنِيَ مَسْجِدًا، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ لَازِمٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَهُوَ قُطْبٌ يَدُورُ حَوْلَهُ رَحَى الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَازِلًا فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ ضَيْفًا عَلَيْهِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ بَيْتِهِ مِرْبَدٌ فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْنِيَ الْمَسْجِدَ فِي ذٰلِكَ الْمَكَانِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ هٰذَا الْمِرْبَدُ؟

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ اسْمُهُ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ، هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ لِيَتِيمَيْنِ اسْمُ أَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَاسْمُ الثَّانِي سُهَيْلٌ.

طَلَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْلًا وَسُهَيْلًا وَهُمَا وَلَدَانِ يَتِيمَانِ فَلَمَّا حَضَرَا كَلَّمَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرِ الْمِرْبَدِ وَثَمَنِهِ.

قَالَ سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ: هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، لِلّٰهِ

لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا فَابْنِ الْمَسْجِدَ وَقَدْ طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُنَا وَلٰكِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبٰى وَاشْتَرٰى مِنْهُمَا الْمَكَانَ وَدَفَعَ الثَّمَنَ .

وَبَنَى الْمُسْلِمُوْنَ الْمَسْجِدَ وَرَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِيَدِهٖ وَيَنْقُلُ اللَّبِنَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ .

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ   لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلِّلُ

وَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يَبْنُوْنَهٗ وَيَقُوْلُوْنَ : اَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْاٰخِرَةِ ، فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ .

وَقَدْ زَادَ فِيْ هٰذَا الْمَسْجِدِ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ وَالْمُلُوْكُ بَعْدَهٗ حَتّٰى تَرَوْنَهٗ فِيْ هٰذَا الشَّكْلِ .

كِسْرَةٌ مِنَ الْخُبْزِ

مَرَّةً أَخَذْتُ كِسْرَةً مِنَ الْخُبْزِ لِاٰكُلَهَا فَقَالَتْ : مَهْلًا يَا سَيِّدِيْ إِنَّكَ غَيْرُ جَائِعٍ وَقَدْ أَكَلْتَ أَخَوَاتِيْ ، أَفَلَا تُحِبُّ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكَ

قِصَّتِي ؛ إِنَّهَا غَرِيبَةٌ وَإِنَّهَا لَذِيذَةٌ .



قُلْتُ بَلَى أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ قِصَّتَكِ فَلَا آكُلُكِ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْكِ !

قَالَتْ : هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدِي أَنِّي خُلِقْتُ هٰكَذَا ؟ هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ الْخُبْزَ يَنْبُتُ فِي الْحَقْلِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّكَ تَأْكُلُ مُسْرِعًا يَأْتِيكَ رِزْقُكَ رَغَدًا وَلٰكِنِّي لَمْ أَزَلْ أَتَحَمَّلُ الْمَشَاقَّ لِأَجْلِكَ وَأَخْرُجُ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَى مُصِيبَةٍ وَمِنْ تَعْذِيبٍ إِلَى تَعْذِيبٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى يَدِكَ .

كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي كُنْتُ حَبَّةَ حِنْطَةٍ مَعَ شَقِيقَاتِي فِي غِرَارَةٍ، فَجَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ فَأَخَذَنِي مَعَ رَفِيقَاتِي فَبَذَرَنَا فِي التُّرَابِ.

هُنَالِكَ فِي الحَقْلِ أَبْصَرْتُ الدُّنْيَا وَأَصَابَتْنِي الشَّمْسُ، وَكُنْتُ مَسْرُورَةً جِدًّا وَلَكِنْ نَزَلَ المَطَرُ وَدَخَلْتُ إِلَى بَاطِنِ التُّرْبَةِ وَبَقِيتُ مَدْفُونَةً أَيَّامًا وَأَخَذَ جِسْمِي يَكْبُرُ وَجِلْدِي يَضِيقُ عَلَيَّ حَتَّى انْشَقَّ جِلْدِي وَخَرَجَ مِنْهُ جُذَيْرَاتٌ كَالشَّعْرِ ثُمَّ خَرَجَتْ وُرَيْقَاتٌ شَقَّتِ التُّرْبَةَ وَظَهَرَتْ فَوْقَ الأَرْضِ فَكُنْتُ يَاسَيِّدِي سُنْبُلَةً قَائِمَةً عَلَى سَاقٍ.

ثُمَّ أَصْبَحْتُ سُنْبُلَةً صَفْرَاءَ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ وَكُنْتُ أَرَى صَدِيقَاتِي وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ وَنَهْتَزُّ طَرَبًا وَكَانَتْ أَيَّامًا جَمِيلَةً.

وَمَا طَالَتْ تِلْكَ المُدَّةُ فَقَدْ جَاءَ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ المَنَاجِلَ فَحَصَدُوا وَحَمَلُوا وَانْتَقَلْتُ إِلَى بَيْدَرٍ وَمَكَثْتُ أَيَّامًا.

وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْأَيَّامِ، فَقَدْ جَاءَ ثِيرَانٌ فَدَاسَتْنَا بِأَقْدَامِهَا وَفَارَقْتُ السُّنْبُلَةَ وَكُنْتُ طَرِيحًا ذَلِيلًا.

ثُمَّ أَخَذَنَا رِجَالٌ وَذَرَوْنَا فِي الرِّيحِ فَطَارَ الْقِشْرُ وَبَقِيَ الْقَمْحُ.

وَكَانَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَنِي إِلَى شَيْءٍ مُدَوَّرٍ مِنَ الْحَجَرِ فِيهِ ثُقْبٌ وَكُنْتُ أَسْمَعُ لَهُ صَوْتًا شَدِيدًا كَرِيهًا وَجَعْجَعَةً فَأَلْقَانِي فِيهِ فَطَحَنَنِي طَحْنًا، هَلْ تَعْرِفُ اسْمَهُ يَا سَيِّدِي؟ ذَلِكَ هُوَ الطَّاحُونُ أَوِ الرَّحَى!

وَلَمَّا صِرْتُ دَقِيقًا أَخَذَنِي الْخَبَّازُ وَوَضَعَنِي فِي مِعْجَنَةٍ وَغَمَرَنِي بِالْمَاءِ النَّقِيِّ وَغَمَزَنِي حَتَّى صِرْتُ عَجِينًا فَصَنَعَ مِنِّي كُرَةً.

هُنَالِكَ جَاءَتِ الْمُصِيبَةُ فَقَدْ دَحَانِي عَلَى حَدِيدٍ مُحْمًى تُسَمُّونَهُ الطَّابَقَ، لَا تَسْأَلْ يَا سَيِّدِي عَنْ أَلَمِي وَاحْتِرَاقِي فَقَدِ الْتَوَيْتُ وَانْكَمَشْتُ وَلَكِنَّ الْخَبَّازَ لَمْ يَرْحَمْنِي وَلَمْ يَرِقَّ

إلى حتى كُنْتُ رِقَاقًا.

كُلُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِكَ يَا سَيِّدِي، كُنْتُ أَشْقَى لِنَعِيمِكَ: أَنْتَ لِلذَّائِكَ وَأَنْتَقِلُ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ لِتَأْكُلَ هَنِيئًا وَتَشْبَعَ، أَفَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُولَ.

"أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"

عِيَادَةُ الْمَرِيضِ

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَوْمَ السَّبْتِ فَوَجَدَ أَنَّ صَدِيقَهُ حُسَيْنًا مَا حَضَرَ فِي الْمَدْرَسَةِ فَسَأَلَ أَخَاهُ عَلِيًّا عَنِ السَّبَبِ فَقَالَ إِنَّهُ مَحْمُومٌ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ فَعَزَمَ حَامِدٌ عَلَى أَنْ يَعُودَهُ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ.

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى بَيْتِ حُسَيْنٍ مَسَاءً وَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ أَبُو حُسَيْنٍ، قَالَ حَامِدٌ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ صَدِيقِي حُسَيْنًا فَقَدْ أَخْبَرَنِي عَلِيٌّ أَنَّهُ

مَرِيضٌ، قَالَ أَبُوهُ نَعَمْ إِنَّهُ أَصَابَتْهُ الْحُمَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَعُودَهُ.

صَعِدَ حَامِدٌ إِلَى السَّطْحِ وَدَخَلَ غُرْفَةَ حُسَيْنٍ فَرَأَى حُسَيْنًا مُضْطَجِعًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِلُطْفٍ وَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ لَهُ كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي عَافَاكَ اللهُ؟

قَالَ حُسَيْنٌ قَدْ أَصَابَتْنِي الْحُمَّى يَوْمَ الْخَمِيسِ وَكَانَتْ شَدِيدَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَخَفَّتْ فِي اللَّيْلِ وَلٰكِنِّي أَشْكُو الصُّدَاعَ وَالدُّوَارَ وَقَدْ ضَعُفْتُ كَثِيرًا كَأَنِّي مَرِيضٌ مُنْذُ أَيَّامٍ وَلَا أَشْتَهِي الطَّعَامَ.

قَالَ حَامِدٌ: لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ! وَهَلْ عَادَكَ طَبِيبٌ؟

قَالَ حُسَيْنٌ، نَعَمْ قَدْ عَادَنِي طَبِيبٌ أَمْسِ وَمَوْعِدُهُ الْآنَ.

وَلَمْ يَجْلِسْ حَامِدٌ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى حَضَرَ الطَّبِيبُ فَجَسَّ يَدَ حُسَيْنٍ وَقَاسَ الْحَرَارَةَ

وَامْتِنَاعَ الصَّلَاةِ بِالسِّمْعَةِ، أَبْدَى الْإِرْتِيَاحَ وَغَيَّرَ فِي الْوَصْفَةِ قَلِيلًا وَقَالَ إِنَّهُ بَارِئٌ بِحَمْدِ اللهِ وَأَوْصَى أَبَاهُ بِأَنْ يَجْتَنِبَ حَسَنِيْنَا الْمَاءَ الْبَارِدَ وَالزَّيْتَ وَالْخُرُوجَ فِي الْهَوَاءِ وَالتَّعَبَ وَيَسْقِيَهُ اللَّبَنَ وَمَاءَ الشَّعِيرِ وَمَاءَ الْفَوَاكِهِ.

وَجَلَسَ حَامِدٌ قَلِيلًا وَقَالَ إِنَّ الْعَائِدَ إِذَا أَطَالَ الْجُلُوسَ عِنْدَ الْمَرِيضِ شَقَّ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ فَأَسْتَأْذِنُ وَأَنْصَرِفُ وَأَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ غَدًا.

أَلْكِيمِيَاءُ

كَانَ الْأَوْلَادُ يَتَحَدَّثُونَ فِي اللَّيْلِ وَيَتَسَامَرُونَ وَكَانَ أَكْثَرُ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْكِيمِيَاءِ وَكَانَ إِسْمٰعِيلُ يَقُولُ سَمِعْتُ أَنَّ شَيْئًا يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَبًا وَيَجْعَلُ نُقُودَ النِّيكِلِ وَالرَّصَاصِ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةً وَجُنَيْهَاتٍ.

وَصَدَّقَهُ مَحْمُودٌ وَقَالَ نَعَمْ إِنَّهُ نَوْعٌ

كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَهُ وَلٰكِنْ انْقَرَضَ عُلَمَاءُ ذٰلِكَ الْفَنِّ وَطُوِيَ ذٰلِكَ الْبِسَاطُ؛

فَتَأَسَّفَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا وَحَزِنُوا وَقَالُوا لَوْ وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ هٰذِهِ الصِّنَاعَةَ لَتَعَلَّمْنَاهَا مِنْهُ وَصِرْنَا أَغْنِيَاءَ بِدُونِ تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ.

وَكَانَ أَبُوهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُمْ فَقَالَ لَا تَتَأَسَّفُوا يَا أَوْلَادِي فَإِنِّي أَعْرِفُ الْكِيمِيَاءَ وَأَنْتُمْ أَعَزُّ النَّاسِ عِنْدِي فَأَنَا أُعَلِّمُكُمْ غَدًا وَأُخْبِرُكُمْ بِصِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ.

فَرِحَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا وَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلٰى بَعْضٍ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْتَظِرُوا إِلَى الصَّبَاحِ فَاسْتَطَالُوا اللَّيْلَ وَلٰكِنَّ وَالِدَهُمْ قَالَ [illegible] "لَا يُمْكِنُ تَعْلِيمُ الْكِيمِيَاءِ إِلَّا فِي النَّهَارِ [illegible] ذٰلِكَ فَنٌّ دَقِيقٌ"

نَامَ الْأَوْلَادُ وَانْتَبَهُوا مُبَكِّرِينَ [illegible] لَمْ يَزَلْ إِسْمٰعِيلُ وَمَحْمُودٌ يَرَيَانِ الْكِيمِيَاءَ فِي الْمَنَامِ وَرَأَى هَاشِمٌ أَنَّهُ فِي قَصْرٍ شَامِخٍ

وَلِبَاسٍ فَاخِرٍ وَكَذَا بَنَى الْقَصْرَ وَصَنَعَ اللِّبَاسَ بِالْمَالِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِالْكِيمِيَاءِ.

صَلَّوُا الصُّبْحَ وَجَلَسُوا حَوْلَ أَبِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ فَرَاغَهُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَأَتَمَّ أَبُوهُمْ حِزْبَهُ وَقَالَ هَلُمُّوا يَا أَبْنَائِي نَخْرُجُوا مَعَهُ وَكَانَ أَعْجَلَهُمُ الاِشْتِيَاقُ إِلَى الْكِيمِيَاءِ مِنْ أَنْ يُفْطِرُوا.

لَمْ يَزَلْ أَبُوهُمْ يَسِيرُ بِهِمْ طَرِيقًا بَعْدَ طَرِيقٍ حَتَّى وَقَفَ بِهِمْ عَلَى حَقْلٍ يَحْرُثُهُ الْفَلَّاحُ وَفِي يَدِهِ السِّكَّةُ فَقَالَ الْوَالِدُ، الْكِيمِيَاءُ يَا أَوْلَادِي تَحْتَ سِكَّةِ الْمِحْرَاثِ.

فَتَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ وَاسْتَفْسَرُوا أَبَاهُمْ فَقَالَ الْوَالِدُ: أَلَمْ أَسْمَعْكُمْ تَقُولُونَ الْكِيمِيَاءُ يُحَوِّلُ التُّرَابَ ذَهَبًا أَلَا يَتَحَوَّلُ هٰذَا التُّرَابُ ذَهَبًا بَعْدَ أَيَّامٍ بَلْ أَغْلَى مِنَ الذَّهَبِ وَمَا يُغْنِي الذَّهَبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ؟ فَبِهٰذِهِ الْبُذُورِ الَّتِي بَذَرَهَا الْفَلَّاحُ وَاجْتَهَدَ

فِيهَا أَيَّامًا سَتَأْتِي بِحَاصِلٍ كَبِيرٍ وَ سَيَرُدُّ اللهُ إِلَيْهِ بِهٰذَا الْعَمَلِ أَضْعَافَ مَا بَذَلَ .

ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ أَبُوهُمْ عَلَى مَصْنَعٍ كَانَ النَّاسُ فِيهِ عَاكِفِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَ الْعَرَقُ يَسِيلُ ، وَ صَنَعُوا أَشْيَاءَ مُفِيدَةً جِدًّا تُثْمِرُ لَهُمْ مَالًا كَثِيرًا وَ تَقْضِي لِلنَّاسِ حَاجَاتٍ كَبِيرَةً فَقَالَ الْوَالِدُ : أَتَكِيمِيَاءُ يَا أَوْلَادِي عَرَقُ الْجَبِينِ وَكَدُّ الْيَمِينِ

ثُمَّ مَالَ بِهِمْ إِلَى حَلْقَةِ مُعَلِّمٍ وَ إِلَى مَجْلِسِ وَاعِظٍ وَ قَالَ : يَا أَوْلَادِي أَلْإِنْسَانُ أَغْلَى شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَ تَثْقِيفُهُ وَإِصْلَاحُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَحْوِيلِ التُّرَابِ ذَهَبًا .

فَإِذَا تَعَلَّمَ هٰؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ ، وَإِذَا اهْتَدَى هٰؤُلَاءِ النَّاسُ كَانَ لِلْمُعَلِّمِ وَ الْوَاعِظِ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ لَهُ أَجْرُ كُلِّ مَا يَعْمَلُ هٰؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ وَ بِرٍّ وَ لِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

"يَا عَلِيُّ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ

لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ"
فَاقْتَنَعَ الْأَوْلَادُ وَشَكَرُوا أَبَاهُمْ وَرَجَعُوا
وَقَدْ تَعَلَّمُوا الْكِيمِيَاءَ .

يَوْمٌ صَائِفٌ

مَا أَشَدَّ الْحَرَّ ! يَا لَطِيفُ ! أَلنَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ
لَا يَخْرُجُونَ خَوْفَ السَّمُومِ وَقَدِ اتَّخَذُوا سُتُورًا
مِنَ الْحَشِيشِ يَرُشُّونَ عَلَيْهَا الْمَاءَ وَيُحَرِّكُونَ
الْمَرَاوِحَ وَقَدْ سَدُّوا النَّوَافِذَ لِئَلَّا تَدْخُلَ مِنْهَا
السَّمُومُ وَهُمْ مَعَ ذٰلِكَ يَتَقَلَّبُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ
هٰذَا وَأَهْلُ الْأَكْوَاخِ الْحَقِيرَةِ وَالْخُصَصِ وَالْبُيُوتِ
الْمَبْنِيَّةِ مِنَ اللَّبِنِ أَنْعَمُ فِي الصَّيْفِ مِنْ أَهْلِ
الْقُصُورِ الْمَبْنِيَّةِ مِنَ الْجَصِّ وَالْآجُرِّ فَإِذَا رَشُّوا
الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ وَهَبَّتْ لَفْحَةٌ مِنْ
سَمُومٍ تَحَوَّلَتْ نَفْحَةً مِنْ نَسِيمٍ وَحَسِبُوا
أَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ .
اِرْتَفَعَتْ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ إِلَى مِائَةٍ وَثَمَانِي

عَشْرَةَ نُقْطَةً فَيَعِيلُ صَبْرُ النَّاسِ وَسَافَرَ الأَغْنِيَاءُ إِلَى قُلَلِ الْجِبَالِ حَيْثُ يَصْطَافُوْنَ وَيَقْضُوْنَ شَهْرَ مَيْ وَجُوْن حَتَّى إِذَا نَزَلَتِ الأَمْطَارُ وَلَطُفَ الْحَرُّ هَبَطُوْا إِلَى الْمُدُنِ وَالسُّهُوْلِ.

وَبَقِيَ أَوْسَاطُ النَّاسِ وَأَهْلُ الأَشْغَالِ يَتَحَمَّلُوْنَ الْحَرَّ وَيَصْبِرُوْنَ لِلسَّمُوْمِ.

الآنَ رَكَدَتِ السَّمُوْمُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ وَطَابَ الْخُرُوْجُ وَانْتَشَرَ النَّاسُ فِي الْبَسَاتِيْنِ وَالْمَيَادِيْنِ وَشَوَاطِئِ الأَنْهَارِ يَتَرَوَّحُوْنَ وَيَتَنَزَّهُوْنَ فَلَا تَجِدُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا شَيْخًا هَرِمًا أَوْ اِمْرَأَةً أَوْ عَاجِزًا وَمَنْ حَبَسَهُ شُغْلٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ حَاجَةٌ وَقَدْ تَسْتَمِرُّ السَّمُوْمُ إِلَى اللَّيْلِ فَلَا يَسْتَرِيْحُ النَّاسُ وَيَتَقَلَّبُوْنَ عَلَى الْفِرَاشِ وَقَدْ يَحْتَبِسُ الْهَوَاءُ فَيَسِيْلُ الْعَرَقُ وَيَتَحَرَّكُ الْمَرَاوِحُ وَيَطِيْرُ النَّوْمُ.

اَلنَّظَافَةُ

طَاهِرُ ابْنُ فَلَّاحٍ يَسْكُنُ أَبُوْهُ فِي الْقَرْيَةِ

وَيُرْسِلُ إِلَى طَاهِرٍ قَلِيلًا مِنَ النُّقُودِ كُلَّ شَهْرٍ وَلٰكِنَّ طَاهِرًا وَلَدٌ مُدَبِّرٌ عَاقِلٌ ثِيَابُهُ مُتَوَاضِعَةٌ وَلٰكِنَّهَا دَائِمًا نَظِيفَةٌ مُرَتَّبَةٌ لَا تَرَى فِيهَا وَسَخًا، يَغْسِلُهَا بِيَدِهِ كُلَّ جُمُعَةٍ وَعِنْدَهُ إِبْرَةٌ وَخَيْطٌ فَإِذَا تَخَرَّقَ ثَوْبٌ خَاطَهُ بِالْإِبْرَةِ أَوْ رَقَّعَهُ بِنَفْسِهِ.

وَلَا يَخْجَلُ طَاهِرٌ إِذَا خَرَجَ فِي ثَوْبٍ مَرْقُوعٍ وَلٰكِنَّهُ يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِي ثَوْبٍ وَسِخٍ وَمَا رَآهُ أَصْدِقَاؤُهُ فِي ثِيَابٍ وَسِخَةٍ أَبَدًا فَيَحْسَبُونَ أَنَّهُ غَنِيٌّ عِنْدَهُ ثِيَابٌ كَثِيرَةٌ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَ بَذْلَاتٍ.

وَإِذَا دَخَلْتَ فِي حُجْرَتِهِ رَأَيْتَهَا نَظِيفَةً مُنْتَظِمَةً وَرَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَحَلِّهِ فَلَا يَضِيعُ وَقْتُهُ فِي تَفَتُّشِ الْأَشْيَاءِ وَالْتِمَاسِهَا وَإِذَا دَخَلَ فِي الظَّلَامِ قَدَرَ أَنْ يَأْخُذَ مَا يُرِيدُهُ لِأَنَّهُ فِي مَحَلِّهِ.

وَكُتُبُهُ أَيْضًا فِي نِظَامٍ دَائِمًا وَهِيَ نَظِيفَةٌ

لَا تَرَى عَلَيْهَا غُبَارًا وَ لَا تُرَابًا وَ لَا تَرَى فِيهَا أَثَرَ دُهْنٍ وَ مِسْحَةَ يَدٍ وَ لَا كِتَابَةً وَ تَحْسِبُهَا كَأَنَّهُ اشْتَرَاهَا الْيَوْمَ، وَ لَا يَكْتُبُ اسْمَهُ إِلَّا فِيْ مَكَانٍ وَاحِدٍ بِخَطٍّ جَمِيلٍ.

وَ إِذَا قَامَ طَاهِرٌ فِي الصَّبَاحِ تَوَضَّأَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ وَ اسْتَاكَ وَ نَظَّفَ أَسْنَانَهُ.

وَ يَغْتَسِلُ طَاهِرٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّيْفِ وَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِيْ كُلِّ أُسْبُوعٍ فِي الشِّتَاءِ لِذٰلِكَ تَرَاهُ يَمْرَضُ قَلِيلًا وَ هُوَ قَوِيٌّ نَشِيطٌ.

وَ فِيْ فَصْلِ طَاهِرٍ وَلَدٌ غَنِيٌّ اسْمُهُ سَاهِلٌ وَ هُوَ ضِدُّ طَاهِرٍ فِي النَّظَافَةِ وَ النِّظَامِ فَثِيَابُهُ غَالِيَةٌ جَمِيلَةٌ وَ لٰكِنَّهَا فِي الْغَالِبِ وَسِخَةٌ دَنِسَةٌ وَ هُوَ يُغَيِّرُ مَلَابِسَهُ سَرِيعًا وَلٰكِنَّهُ يُوَسِّخُهَا سَرِيعًا.

وَ كَذٰلِكَ كُتُبُهُ دَائِمًا، فَجِلْدُهَا مَشْقُوقٌ وَ وَرَقُهَا مَخْرُوقٌ كَأَنَّ طِفْلًا عَبِثَ بِهَا أَوْ مَشَتْ عَلَيْهَا سِكَّةُ الْفَلَّاحِ أَوْ

ذاكرتها متوقّدة.

وَكُتُبُهُ وَدَفَاتِرُهُ مَعْرُوضٌ أَوْ مُعَلَّقٌ تَرَى بَيْنَهَا رُسُوماً وَصُوَراً وَتَوْقِيعَاتٍ وَتَوْقِيتَاتٍ وَأَشْكَالاً رِيَاضِيَّةً وَخَرَائِطَ جُغْرَافِيَّةً.

وَإِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِنَا هَذَا لَا تُحَافِظُ عَلَى النَّظَافَةِ وَالنِّظَامِ؟ قَالَ إِنَّهُ يُضِيعُ فِي ذَلِكَ وَقْتٌ كَثِيرٌ وَالْوَقْتُ شَيْءٌ غَالٍ!

وَتَرَاهُ يُضَيِّعُ وَقْتاً طَوِيلاً فِي تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ وَتَغْيِيرِ الْمَلَابِسِ يَوْمِيّاً وَلَا يَفْطَنُ لِذَلِكَ.

الْحَنِينُ إِلَى الشَّهَادَةِ

(١)

لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرُوجَ إِلَى بَدْرٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ خَرَجَ غُلَامٌ اسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ عُمْرُهُ

سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَكَانَ عُمَيْرٌ يَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ صَغِيرٌ فَكَانَ يَجْتَهِدُ أَنْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ وَكَانَ يَتَوَارَى .

وَلٰكِنْ رَآهُ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فَقَالَ لَهُ مَالَكَ يَا أَخِي ؟ لِمَ أَنْتَ تَتَوَارَى ؟

قَالَ عُمَيْرٌ ، أَخَافُ أَنْ يَرُدَّنِي رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي صَغِيرٌ وَأَنَا أُحِبُّ الْخُرُوجَ ، لَعَلَّ اللّٰهَ يَرْزُقُنِي الشَّهَادَةَ .

وَكَانَ كَمَا خَافَ عُمَيْرٌ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآى أَنَّهُ صَغِيرٌ وَالْحَرْبُ لَيْسَتْ مِنْ شُغْلِ الْأَطْفَالِ وَالْغِلْمَانِ وَمَا يَصْنَعُونَ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّهَا كَبِيرَةٌ عَلَى الرِّجَالِ ؟

وَلٰكِنَّ عُمَيْرًا مَا أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَقْعُدَ فِي الْبَيْتِ أَوْ يَلْعَبَ مَعَ أَتْرَابِهِ وَأَصْدِقَائِهِ فِي الْمَدِينَةِ وَإِنَّهُ لَيُرِيدُ الشَّهَادَةَ فِي

سَبِيْلِ اللهِ !

وَ لٰكِنَّ عُمَيْرًا لَا يَعْصِيْ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا يُعَانِدُ فَإِنَّهُ لَا يُرِيْدُ إِلَّا رِضَاءَ اللهِ وَ هَلْ يَنَالُ رِضَاءَ اللهِ إِذَا عَصَى رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَبَدًا !

كَانَ عُمَيْرٌ فِيْ حَيْرَةٍ وَحُزْنٍ شَدِيْدٍ ، هُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ وَ لٰكِنَّهُ يَحِنُّ إِلَى الشَّهَادَةِ وَ إِلَى الْمَوْتِ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ وَ يَحِنُّ إِلَى الْجَنَّةِ وَ يَرَاهَا وَرَاءَ جَبَلِ أُحُدٍ ! وَلٰكِنْ كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ؟!

كُلُّ ذٰلِكَ ثَقُلَ عَلَى عُمَيْرٍ وَ كَانَ قَلْبُهُ صَغِيْرًا فَبَكَى .

وَ لَمَّا بَكَى عُمَيْرٌ رَقَّ لَهُ قَلْبُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقِيْقًا رَفِيْقًا فَأَجَازَهُ .

لَا تَسْأَلُوْا عَنْ فَرَحِ عُمَيْرٍ وَ سُرُوْرِهِ لَمَّا أَجَازَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَكَأَنَّمَا -

قال تذكرة الجنة .

وخرج عمير مع أخيه و مع المسلمين وكلهم كبار و أقوياء و كان كما أراد فقتل قتل شهيداً في الغزوة و سبق كثيراً من الشبان والشيوخ .

رضي الله عن عمير و أرضاه .

ألحنين إلى الشهادة

(٢)

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد لقتال قريش خرج معه من المدينة غلمان يحبون الجهاد في سبيل الله و كانوا صغاراً لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من عمرهم فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم صغار لم يبلغوا سن القتال، فيكونون كالمتاع و يشغلون الكبار أيضاً يراقبونهم و يحرسونهم .

وَكَانَ فِيْ هٰؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ وَلَدٌ اسْمُهٗ رَافِعُ بْنُ خَدِيْجٍ وَهُوَ دُوْنَ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ سِنِّهٖ وَكَانَ يَتَطَاوَلُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ لِيَظُنَّ النَّاسُ أَنَّهٗ كَبِيْرٌ قَدْ بَلَغَ سِنَّ الْقِتَالِ، فَلَا يُفْطَنُ لِصِغَرِ سِنِّهٖ وَ ضَعْفِهٖ.

وَ لٰكِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ رَدَّهٗ لِأَنَّهٗ عَرَفَ أَنَّهٗ صَغِيْرٌ وَ أَنَّهٗ يَتَطَاوَلُ فَشَفَعَ لَهٗ أَبُوْهُ وَ قَالَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ إِنَّ ابْنِيْ رَافِعًا رَامٍ فَأَذِنَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَفَرِحَ رَافِعٌ كَثِيْرًا لَمَّا أَذِنَ لَهٗ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَخَرَجَ مَعَ الْمُجَاهِدِيْنَ وَهُوَ أَكْثَرُ سُرُوْرًا مِنْ غِلْمَانٍ يَخْرُجُوْنَ إِلَى الْمُصَلّٰى يَوْمَ الْعِيْدِ فِيْ لِبَاسٍ جَدِيْدٍ.

وَكَانَ وَلَدٌ اٰخَرُ اسْمُهٗ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ فِيْ سِنِّ رَافِعٍ تَعَرَّضَ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بَعْدَمَا رَافِعٌ فَرَدَّهٗ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لِصِغَرِهٖ أَيْضًا فَقَالَ

سَمُرَةُ لَقَدْ أَجَزْتَ رَافِعًا وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ
صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ !

فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَمُرَةَ وَرَافِعًا بِالْمُصَارَعَةِ فَصَرَعَ سَمُرَةُ
رَافِعًا كَمَا قَالَ، وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ بِالدُّخُولِ
فِي صَفِّ الْمُجَاهِدِينَ.

فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَمُرَةَ بِالْخُرُوجِ فَخَرَجَ سَمُرَةُ وَقَاتَلَ يَوْمَ
أُحُدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ.

رَضِيَ اللهُ عَنْ رَافِعٍ وَسَمُرَةَ وَرَزَقَنَا
اتِّبَاعَهُمَا.

كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

(١)

كَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
يَوْمًا شَدِيدَ الْحَرِّ وَكَانَ يَوْمَ عُطْلَةٍ فَكَانَ
مَحْمُودٌ وَأَحْمَدُ وَعُثْمَانُ فِي الْبَيْتِ وَكَانُوا

مَعَ أَبِيهِمْ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي النَّهَارِ، وَكَانُوا يَتَأَلَّمُونَ مِنَ الحَرِّ وَيَتَقَلَّبُونَ عَلَى الفِرَاشِ كَأَنَّهُمْ عَلَى الجَمْرِ.

قَالَ مَحْمُودٌ: يَا لَطِيفُ! مَا أَشَدَّ الحَرَّ!

قَالَ أَبُوهُمْ سُلَيْمَانُ: أَتَعْرِفُ يَا مَحْمُودُ كَمْ تَبْعُدُ الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ؟

مَحْمُودٌ: لَا يَا أَبِي وَلٰكِنِّي أَعْرِفُ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ جِدًّا:

سُلَيْمَانُ: سَتَقْرَأُ فِي المَدْرَسَةِ أَنَّ الشَّمْسَ تَبْعُدُ مِنَ الأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِينَ مِلْيُونًا مِنَ الأَمْيَالِ وَالحَرُّ كَمَا تَرَى فَكَيْفَ إِذَا دَنَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَكُونَ مِقْدَارَ مِيلٍ؟

مَحْمُودٌ: العِيَاذُ بِاللهِ! وَمَتَى هٰذَا يَا أَبِي؟

سُلَيْمَانُ: ذٰلِكَ يَا بُنَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ!

أَحْمَدُ: وَكَيْفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَتِ؟

سُلَيْمَانُ: يَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ

فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا .

عُثْمَانُ : أَوَلَيْسَ هُنَالِكَ ظِلٌّ أَوْ مَكَانٌ يَسْتَظِلُّ بِهِ النَّاسُ ؟

سُلَيْمَانُ ، بَلَى يَا وَلَدِي فَهُنَالِكَ ظِلٌّ لَا يَنْعَمُ بِهِ إِلَّا سَبْعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ .

الْأَوْلَادُ ، وَ مَنْ أُولَئِكَ السُّعَدَاءُ يَا أَبَانَا لَعَلَّنَا نَجْتَهِدُ أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ .

سُلَيْمَانُ : يَا أَوْلَادِي يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ السَّبْعَةِ وَ أَنَا أَعُدُّ لَكُمْ أُولَئِكَ السَّبْعَةَ .

(١) إِمَامٌ عَادِلٌ .

وَ قَطَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَوْلَادِ وَ قَالَ وَ مَنْ هُوَ الْإِمَامُ أَهَذَا الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ ؟

سُلَيْمَانُ ، هُوَ أَيْضًا عَلَى خَيْرٍ لَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ .

وَابْتَدَرَ الْأَوْلَادُ وَقَالُوْا قَدْ فَهِمْنَا هٰذَا
عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ وَ
قَدْ سَمِعْنَا كَثِيْرًا مِنْ حِكَايَاتِهِمْ مِنْ أُمِّنَا.

كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

(٢)

قَالَ سُلَيْمَانُ: وَالثَّانِيْ يَا أَوْلَادِيْ شَابٌّ نَشَأَ فِيْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالٰى.

هُنَالِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ وَقَالَ يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يَا أَوْلَادِيْ أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ الشَّابَّ السَّعِيْدَ، وَلٰكِنْ إِذَا ضَيَّعْتُمْ فُرْصَةَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ تَكُوْنُ إِلَّا الْحَسْرَةُ وَالنَّدَامَةُ.

(٣) رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ.

قَالَ الْأَوْلَادُ: هُوَ كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ فِيْ [illegible] إِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَا تَفُوْتُهُ جَمَاعَةٌ وَلَا نَظُنُّهُ يَبِيْتُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ

قَالَ سُلَيْمَانُ: لَا يَا أَوْلَادِيْ وَلٰكِنَّهُ مُحَافِظٌ

عَلَى الصَّلَاةِ وَ الْجَمَاعَةِ وَ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ .

(٤) رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللّٰهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَ تَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

وَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَرَوْهُمَا فَانْظُرُوا إِلَى الشَّيْخِ صَالِحٍ وَ الشَّيْخِ حَمْزَةَ فَهٰذَانِ مِنَ الْهِنْدِ وَ ذٰلِكَ مِنْ بُخَارَا وَ هُمَا أَخَوَانِ فِي اللّٰهِ .

وَ يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ هٰذِهِ الْفَضِيلَةَ وَ ذٰلِكَ بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ صَفِّهِ وَ مَدْرَسَتِهِ الصَّالِحَ مِنَ الْأَوْلَادِ فَيُصَادِقَهُ وَ يَجْتَهِدُ أَنْ تَكُونَ صَدَاقَتُهُ لِلدِّينِ .

(٥) وَ رَجُلٌ اقْتَدَى بِيُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ فِي الْعِفَّةِ وَ الْأَمَانَةِ وَ قَدْ سَمِعْتُمْ قِصَّتَهُ .

قَالَ الْأَوْلَادُ : نَعَمْ .

(٦) وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتّٰى

لَا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ.

وَ ذٰلِكَ مِثْلُ جَدِّكُمْ إِنَّا لَمْ نَعْرِفْ بِرَّهُ وَ إِحْسَانَهُ إِلَى الْمَسَاكِينِ وَ الضَّعَفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَدْ جَاءَتِ الْعَجَائِزُ وَالْأَرَامِلُ يَبْكِينَهُ وَ يَذْكُرْنَ خَيْرَهُ وَ بِرَّهُ وَ قَدْ أَخْبَرَنِي أَشْرَافٌ مِنْ أَهْلِ هٰذَا الْحَيِّ أَنَّهُ كَانَ يُوَاسِيهِمْ وَ يَصِلُهُمْ بِعَشْرَةٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَ لَمْ نَعْلَمْ ذٰلِكَ أَهْلَ الْبَيْتِ!

(٧) وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّٰهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.

قَالَ الْأَوْلَادُ: أَمَّا نَحْنُ فَنَجْتَهِدُ جَمِيعًا أَنْ نَكُونَ شُبَّانًا نَشَأُوا فِي عِبَادَةِ اللّٰهِ تَعَالَى وَ نَجْتَهِدُ فِي غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَيْضًا وَ لَعَلَّنَا يَا أَبَانَا إِذَا جَمَعْنَا مِنْهَا خِصَالًا نَنَالُ بِهَا مَكَانًا خَاصًّا فِي ذٰلِكَ الظِّلِّ أَيْضًا فَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِفَضِيلَةٍ وَ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِفَضَائِلَ.

سُلَيْمَانُ: هُوَ كَذٰلِكَ، إِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا.

اَلْعَيْنُ

(١)

اَلْعَيْنُ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللّٰهِ تَعَالٰى فَقَدْ خَلَقَهَا اللّٰهُ تَعَالٰى مِرْآةً صَافِيَةً تَتَحَرَّكُ يَمِيْنًا وَ شِمَالًا وَ فَوْقُ وَ تَحْتُ يَنْظُرُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلٰى جَمِيْعِ الْجِهَاتِ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِيْ مَحْجِرٍ صُلْبٍ مِنَ الْعَظْمِ وَ جَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُفُوْنِ غِطَاءً يَحْفَظُهَا مِنَ الْأَذٰى وَ حَاطَهَا بِأَهْدَابٍ مِنَ الشَّعْرِ لِتَكُوْنَ سِيَاجًا يَذُبُّ عَنْهَا الذُّبَابَ وَ الْبَعُوْضَ وَ الْغُبَارَ الَّتِيْ تَدْخُلُ الْعَيْنَ فَتُسَبِّبُ لَهَا الْأَلَمَ وَ الْمَرَضَ وَ سَلَّطَ عَلَيْهَا مَاءً جَارِيًا يَغْسِلُ مَا يَدْخُلُ فِيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ .

وَ الْعَيْنُ عُرْضَةٌ لِكَثِيْرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ كَالرَّمَدِ وَ قِصَرِ النَّظَرِ وَ قَدْ عَمَّ هٰذَا الْمَرَضُ الْأَخِيْرُ فِيْ هٰذَا الزَّمَانِ فَاحْتَاجَ النَّاسُ حَتَّى الْأَطْفَالُ إِلٰى إِسْتِعْمَالِ مِنْظَرَةٍ وَ بِالْإِجْتِنَابِ

عَنْ هٰذِهِ الْأَمْرَاضِ تَجَنُّبُ الْإِشْتِغَالِ عَنِ الْغُبَارِ وَ الْأَشِعَّةِ وَ تَجَنُّبُ التَّجَوُّلِ فِي الْأَمَاكِنِ الْفَسِيْحَةِ وَ كَذٰلِكَ غَسْلُ الْوَجْهِ بِالْمَاءِ الصَّافِيْ فَإِنَّهُ يَجْلُو الْعَيْنَ وَ يُنَقِّيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ وَ الْقَذَى وَ لِذٰلِكَ كَانَ الْوُضُوْءُ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ خُصُوْصًا فِي الصَّبَاحِ عِنْدَ الْقِيَامِ نَافِعًا جِدًّا.

وَ مُوَاصَلَةُ الْقِرَاءَةِ لَيْلًا فِي النُّوْرِ الضَّعِيْفِ تُؤَثِّرُ فِي النَّظَرِ تَاثِيْرًا كَبِيْرًا وَ تَضُرُّ بِهِ ضَرَرًا عَظِيْمًا فَعَلٰى مَنْ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُوْرَةُ إِلٰى ذٰلِكَ [illegible] يَسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَصَابِيْحِ مَا كَانَ ذَا نُوْرٍ رَائِقٍ [illegible] غَيْرَ سَاطِعٍ وَ لَا ضَعِيْفٍ.

[illegible] الْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْتَرٰى بِالْمَالِ، وَ بِهَا يَتَمَتَّعُ الْإِنْسَانُ [illegible]جَمَالِ الطَّبِيْعَةِ وَ يَقْضِيْ بِهَا حَاجَاتٍ فِيْ نَفْسِهٖ وَ يَكُوْنُ عُضْوًا عَامِلًا مُفِيْدًا مِنْ أَعْضَاءِ [illegible]سْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ إِذَا فَقَدَ الْإِنْسَانُ

بَصَرَهُ حُرِمَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا وَمَحَاسِنِهَا فَكَأَنَّمَا أَظْلَمَ لَهُ الْعَالَمُ وَكَانَ كَلًّا عَلَى غَيْرِهِ وَرُبَّمَا كَانَ عِيَالًا عَلَى عَصًا حَقِيرَةٍ لَا يَمْشِي بِغَيْرِهَا.

اَلْعَيْنُ

(۲)

وَلِذٰلِكَ كَانَتِ الْعَيْنُ ثَمِينَةً غَالِيَةً وَنِعْمَةً جَلِيلَةً حَتّٰى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عَيْنَيْهِ»

وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ بَصَرَهُ عَاطِلًا ضَائِعًا فَقَدْ فَاقَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُمْيَانِ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ وَأَقَرَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِالْفَضْلِ كَالْمُفَسِّرِ قَتَادَةَ وَالْمُحَدِّثِ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَالْفَقِيهِ

زُبَيْرٍ الْبَصَرِيِّ وَالنَّحْوِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ وَالْأَدِيبِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ وَالشَّاعِرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ وَإِمَامِ التَّجْوِيدِ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ.

وَمِنْ حَقِّ هٰذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ وَأَنْ يَغُضَّ بِهَا عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ».

وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ وَأَنْ يُرِيقَ دَمْعَهَا فِي خَشْيَةِ اللهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ، قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَقَطْرَةِ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ».

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ «اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ

وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ».

أَدَبُ الْمُعَاشَرَةِ

أُسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبْ   تَرَ مِنَ الدَّهْرِ الْعَجَبْ

وَلَا تُطَاوِلْ بِنَشَبْ   وَلَا تُفَاخِرْ بِنَسَبْ

أَلْعِزُّ فِي الْأَمَانَةْ   وَالْكَيْسُ فِي الْفَطَانَةْ

لَا تُغْضِبِ الْجَلِيسَا   وَلَا تُوحِشِ الْأَنِيسَا

لَا تُكْثِرِ الْعِتَابَا   تُنَفِّرِ الْأَصْحَابَا

فَكَثْرَةُ الْمُعَاتَبَةْ   تَدْعُو إِلَى الْمُجَانَبَةْ

وَإِنْ حَلَلْتَ مَجْلِسَا   بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا

فَاقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَةْ   وَكُنْ غُلَامَ الطَّاعَةْ

وَقُلْ مِنَ الْكَلَامِ   مَا رَاقَ بِالْتِئَامِ

كَرَائِقِ الْأَشْعَارِ   وَطَيِّبِ الْأَخْبَارِ

وَاتْرُكْ كَلَامَ السَّفَلَةْ   وَالنُّكَتَ الْمُبْتَذَلَةْ

وَلَا تَكُنْ مِلْحَاحَا   وَاجْتَنِبِ الْمِزَاحَا

فَكَثْرَةُ الْمُجُونِ   نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ

عِيدُ الأَضْحَى

كَانَ الْيَوْمُ الأَخِيرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ وَكَانَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ رَأَى وَالِدِي الْهِلَالَ وَكَانَ دَقِيقًا جِدًّا وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِاجْتِهَادٍ وَبَحْثٍ وَرَأَيْتُ وَالِدِي يَقُولُ وَيَدْعُو، قُلْتُ لَهُ مَا ذَا تَقُولُ فِي دُعَائِكَ يَا أَبِي؟

قَالَ وَالِدِي، إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ:

«أَللّٰهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ هِلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ»

فَتَعَلَّمْتُهُ مِنْ وَالِدِي وَحَفِظْتُهُ.

وَظَنَنْتُ أَنَّ الْعِيدَ غَدًا فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ الْعِيدَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ فَإِنَّ عِيدَ الأَضْحَى أَلْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنَ الشَّهْرِ عُطِّلَتِ الْمَدَارِسَةُ وَأَخْبَرَنِي الْمُعَلِّمُ أَنَّ الْحُجَّاجَ يَذْهَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى مِنًى حَيْثُ يَبِيتُونَ وَهٰذَا الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ يَذْهَبُ الْحُجَّاجُ إِلَى عَرَفَاتٍ وَيَظَلُّونَ هُنَالِكَ يَدْعُونَ وَيَذْكُرُونَ اللّٰهَ وَيَذْهَبُونَ مِنْهَا إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ وَيَبِيتُونَ هُنَالِكَ وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يَرْجِعُونَ إِلَى مِنًى وَيَنْحَرُونَ وَذٰلِكَ يَوْمُ النَّحْرِ وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ.

وَكَانَ أَبِي اشْتَرَى بَقَرَةً سَمِينَةً لِلذَّبْحِ وَقَالَ فِيهَا سَبْعَةُ سِهَامٍ إِثْنَانِ لِي وَلِأُمِّكَ وَوَاحِدٌ لَكَ. وَأَرْبَعَةٌ لِأَخَوَيْكَ وَأُخْتَيْكَ.

وَكَانَ أَبِي يَعْرِفُهَا وَيَذْبَحُهَا بِنَفْسِهِ وَقَالَ لِي فِي ذٰلِكَ فَضِيلَةٌ وَأَجْرٌ.

وَالْيَوْمَ الْعَاشِرَ غَيَّرْنَا اللِّبَاسَ وَكَانَ أَبِي قَدْ أَعَدَّ لِي لِبَاسًا جَدِيدًا أَمَّا الْحِذَاءُ

فَكَانَ حِذَاءَ الْعِيْدِ وَكَانَ نَظِيفًا لَمْ يَتَوَسَّخْ كَأَنَّهُ جَدِيْدٌ لِأَنِّي مَا كُنْتُ أَلْبَسُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَ تَطَيَّبَ أَبِي وَ غَيَّرَ اللِّبَاسَ وَخَرَجْنَا مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْمُصَلَّى فَكَبَّرَ وَ هَلَّلَ جَهْرًا وَ صَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ وَخَطَبَ وَ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْأُضْحِيَّةِ وَرَجَعْنَا مِنَ الْمُصَلَّى بِطَرِيْقٍ آخَرَ وَ ذَبَحَ أَبِي الْبَقَرَةَ وَ سَمَّى اللّٰهَ وَ كَبَّرَ.

وَ وَزَّعَتْ أُمِّي اللَّحْمَ عَلَى الْمَسَاكِيْنِ وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَطَبَخَتْ لَنَا أَيْضًا فَمَا تَغَدَّيْنَا إِلَّا بِلَحْمِ أُضْحِيَّتِنَا.

وَ تَوَفَّرَ كَثِيْرٌ مِنَ اللَّحْمِ فَاحْتَفَظَتْ بِهِ أُمِّي وَ أَيْبَسَتْهُ وَ لَمْ نَزَلْ نَأْكُلُ مِنْ هٰذَا الْقَدِيْدِ مُدَّةً طَوِيْلَةً.

وَكَانَتْ فِي أَيَّامِ الْعِيْدِ الثَّلَاثَةِ مَآدِبُ كَثِيْرَةٌ وَكَانَتْ أَيَّامَ أَكْلٍ وَ شُرْبٍ وَ قَدْ دَعَا أَبِي لَيْلَةَ يَوْمِ الْعِيْدِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَ جِيْرَانِهِ وَصَنَعَتْ أُمِّي طَعَامًا لَذِيْذًا فَأَكْثَرَتْ وَ أَطَابَتْ.

وَ الْيَوْمَ الثَّانِي كُنَّا ضُيُوفًا عِنْدَ جَارِنَا الْكَرِيْمِ الشَّيْخِ حُسَيْنٍ الطَّبِيْبِ وَكَانَتْ مَأْدُبَةٌ عَظِيْمَةٌ وَلَمْ آكُلْ مِنَ اللَّحْمِ فِيْ طُوْلِ الشَّهْرِ مَا أَكَلْتُ فِيْ ثَلٰثَةِ أَيَّامٍ وَلَمْ يَضُرَّ شَيْئًا.

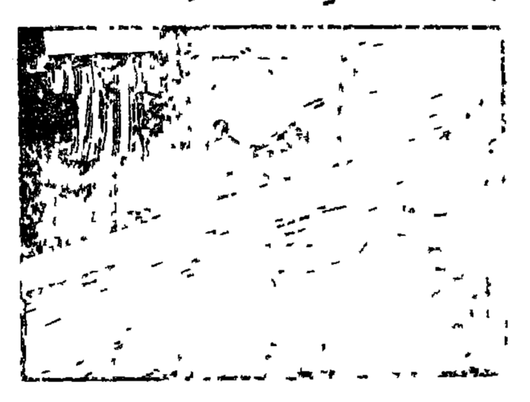
وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْإِمَامَ مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلٰى عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَخِيْرِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ يَعْنِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يُكَبِّرُ وَ يُهَلِّلُ دُبُرَ كُلِّ صَلٰوةٍ مَكْتُوْبَةٍ.

تَارِيْخُ الْقَمِيْصِ

إِنَّكَ لَبِسْتَ قَمِيْصًا جَدِيْدًا تَأَبَّلِ وَأَحْلِقْ! وَلٰكِنْ هَلْ تَعْرِفُ مِنْ تَارِيْخِهِ شَيْئًا هَلْ تَعْرِفُ كَمْ عَمِلَ فِيْهِ مِنَ الْأَيْدِيْ وَكَمْ اشْتَغَلَ بِهِ النَّاسُ وَكَمْ تَعِبَ فِيْهِ الْعَامِلُوْنَ وَكَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ.

كَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنَّ الزَّرَّاعَ زَرَعَ الْقُطْنَ وَ تَحَمَّلَ فِيْ زِرَاعَتِهِ عَنَاءً شَدِيْدًا

فَإِنَّ زِرَاعَةَ الْقُطْنِ فِيهَا تَعَبٌ عَظِيمٌ وَشُغْلٌ
طَوِيلٌ حَرَثَ الْأَرْضَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ أَكْثَرَ
وَشَقَّ خُطُوطًا وَمَلَأَهَا بِالْمَاءِ وَتَرَكَهَا حَتَّى
جَفَّتْ وَحَفَرَ فِي جَنْبِهَا حُفَرًا ثُمَّ بَذَرَ فِيهَا
بُذُورًا مِنَ الْقُطْنِ قَدْ نَقَعَهَا بِالْمَاءِ لَيْلَةً وَلَمَّا



نَبَتَ النَّبَاتُ حَرَثَ الْفَلَّاحُ الْخُطُوطَ فَجَعَلَ
بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا وَقَلَعَ الْحَشَائِشَ الَّتِي تَضُرُّ
بِالْقُطْنِ وَأَرْوَاهَا مِرَارًا وَلَمْ يَزَلِ الْفَلَّاحُ
يَخْدُمُ الْحَقْلَ وَيَتْعَبُ وَلَا يَسْتَرِيحُ شُهُورًا

حَتَّى ظَهَرَ فِيهَا الْقُطْنُ فَانْتَهَتْ الْأَوْلَادُ مِنَ الْبَنِينَ وَ الْبَنَاتِ فِي الْحَقْلِ وَجَنَوُا الْقُطْنَ .

وَ لَمَّا جُمِعَ الْقُطْنُ أُرْسِلَ إِلَى الْحَلَّاجِ فَحَلَجَهُ ثُمَّ نُقِلَ إِلَى بَعْضِ الْمَصَانِعِ فَغُزِلَ ثُمَّ أَخَذَهُ الْحَائِكُ وَ مَدَّ خُيُوطًا مُتَقَارِبَةً وَلَمْ يَزَلْ يَشْتَغِلُ وَ يَتْعَبُ أَيَّامًا حَتَّى نَسَجَهُ ثَوْبًا نَاعِمًا مَتِينًا وَ اشْتَرَى تَاجِرٌ ذَلِكَ الثَّوْبَ وَ وَضَعَهُ فِي دُكَّانِهِ فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُوكَ وَ اشْتَرَاهُ بِمَالِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ وَ تَعِبَ فِيهِ أَيَّامًا وَ أَنْتَ مُسْتَرِيحٌ فِي الْبَيْتِ تَأْكُلُ وَ تَنَامُ .

وَ ذَهَبَ ذَلِكَ الثَّوْبُ إِلَى خَيَّاطٍ فَفَصَّلَ مِنْهُ لَكَ قَمِيصًا ثُمَّ خَاطَهُ لَيْلَةَ الْعِيدِ وَهُوَ سَاهِرٌ وَ أَنْتَ فِي فِرَاشِكَ نَائِمٌ .

وَ جَاءَ إِلَيْكَ الْقَمِيصُ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ مِنْكَ وَ شُغْلٍ أَفَلَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا لَبِسْتَهُ .

«اللّٰهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ وَأَلْبَسْتَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»

«أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»

الأَسَدُ

الأَسَدُ مَلِكُ الغَابَةِ وَسَيِّدُ السِّبَاعِ وَهَيْبَتُهُ تَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ كُلِّهِ مَنْظَرٌ مَهِيبٌ وَزَئِيرٌ تُدَوِّي لَهُ الغَابَاتُ وَيَطِيرُ لَهُ قَلْبُ الشُّجَاعِ قَوِيُّ البَأْسِ كَبِيرُ الجِسْمِ يُحِيطُ بِرَأْسِهِ شَعْرٌ كَثِيرٌ يَكَادُ يَحْجُبُ رَقَبَتَهُ إِذَا غَضِبَ تَجَعَّدَتْ جَبْهَتُهُ وَخَدَّاهُ وَكَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَأَبْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَاخْتَلَجَ حَاجِبَاهُ وَوَقَفَ شَعْرُ بَدَنِهِ وَضَرَبَ بِذَنَبِهِ جَنْبَيْهِ وَأَطْبَقَ عَيْنَيْهِ وَمَالَ إِلَى الأَرْضِ وَوَثَبَ عَلَى فَرِيسَتِهِ كَالصَّاعِقَةِ حَتَّى إِذَا ظَفِرَ بِهَا أَخَذَ فِي مُلَاعَبَتِهَا ثُمَّ مَزَّقَهَا بِأَنْيَابِهِ تَمْزِيقًا.

وَإِذَا كَانَ الأَسَدُ مُقْبِلاً دَلَّتْ هَيْئَتُهُ عَلَى الهُدُوءِ فَإِذَا أُفْلِتَ وَهِيجَ انْدَفَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ وَهُوَ أَكْثَرُ شَجَاعَةً فِي اللَّيْلِ مِنْهُ فِي النَّهَارِ وَقَدْ يَمُرُّ بِالإِنْسَانِ وَلاَ يَتَعَرَّضُ بِهِ إِلاَّ إِذَا كَانَ ضَارِيًا أَوْ هَاجَهُ إِنْسَانٌ.

وَيَهْجُمُ عَلَى الحَيَوَانَاتِ كَالخَيْلِ وَالجِمَالِ وَالبَقَرِ وَغَيْرِهَا وَيَصِيدُ الظَّبْيَ وَيَأْكُلُهُ بِرَغْبَةٍ وَقَدْ تَدْفَعُهُ الجَسَارَةُ إِلَى اخْتِطَافِ الإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ.

وَأُنْثَى الأَسَدِ تُعْرَفُ بِاللَّبُؤَةِ وَهِيَ أَصْغَرُ جُثَّةً وَأَخَفُّ حَرَكَةً وَأَشَدُّ غَضَبًا مِنْهُ وَجَرْوُهَا يُعْرَفُ بِالشِّبْلِ وَيَبْدَأُ فِي الاِفْتِرَاسِ وَيَعْتَمِدُ بِقُوَّتِهِ إِذَا بَلَغَ الثَّانِيَةَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَمُعَدَّلُ طُولِ الأَسَدِ ثَلاَثُ أَذْرُعٍ وَعُلُوُّهُ ذِرَاعٌ وَرُبْعٌ وَمُعَدَّلُ مَا يَعِيشُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً وَقَدْ يَبْلُغُ فِي قَفَصِهِ

مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَرَ .

غُرُورُ الدُّنْيَا

تَقُولُ لَيْسَ الْمَاجِدُ ... إِلَّا الْقَنُوعُ الزَّاهِدُ
فَمَا أَعَزَّ مَنْ قَنِعْ ... وَمَا أَذَلَّ مَنْ طَمِعْ
دُنْيَاكُمْ خَبِيثَهْ ... بِحُسْنِهَا وَالطِّيبَهْ
لَكِنَّهَا غَدَّارَهْ ... خَدَّاعَةٌ غَرَّارَهْ
لَيْسَ لَهَا حَبِيبُ ... زَوَالُهَا قَرِيبُ
مَلُولَةٌ خَوَّانَهْ ... لَيْسَ لَهَا أَمَانَهْ
تُفَرِّقُ الْأَحْبَابَا ... تُشَتِّتُ الْأَتْرَابَا
حَرْبٌ لِمَنْ سَالَمَهَا ... تَمَلُّ مَنْ لَازَمَهَا
عَزِيزُهَا ذَلِيلُ ... كَثِيرُهَا قَلِيلُ
وِصَالُهَا عَنَاءُ ... صُدُودُهَا بَلَاءُ
يَحْظَى بِهَا الْجُهَّالُ ... وَيَتْعَسُ الْأَفْضَالُ
يَشْقَى بِهَا اللَّبِيبُ ... وَيَتْعَبُ الْأَدِيبُ

(أبو العتاهية)

رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا جاءك قريب أو صديق وقال إني مسافر إلى الوطن وسأقابل أباك فهل توصي بشيء وهل لك رسالة إليه أحملها منك وأبلغها إليه فلا تشك أنه سيجتمع بأبيك وربما يسأل أبوك عنك ويسره أن يستمع عنك خبرا سارا وبشرى بخيرك فتقول أقرأ والدي مني السلام وقل له إن ابنك بخير وكما تحب من صحة وسرور.

كذلك كان المسلمون يعتقدون أن الموت جسر إلى الآخرة وكل من عبر هذا الجسر من المسلمين وصل إلى الآخرة واجتمع هناك برسول الله صلى الله عليه وسلم وتشرف بزيارته ولا بد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل عن أمته.

وَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَصِلَ كِتَابُكَ أَوْ يَضِلَّ نَقْلُهُ
إِلَى الْوَطَنِ لِمَانِعٍ أَوْ حَادِثَةٍ أَوْ يَصِلَ إِلَى
الْوَطَنِ وَلَا يَجْتَمِعَ بِأَبِيكَ وَلٰكِنَّ الْمُسْلِمِينَ
مَا كَانُوا يَشُكُّونَ فِي وُصُولِ الْمَيِّتِ إِلَى عَالَمِ
الْآخِرَةِ وَاجْتِمَاعِ الشَّهِيدِ بِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى
اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

زَحَفَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الشَّامِ وَكَانَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَهُمْ «لَتُفْتَحَنَّ
كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ» وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللّٰهُ
بِالنَّصْرِ وَقَالَ «وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ»
وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» فَكَانُوا وَاثِقِينَ
بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَكَذٰلِكَ كَانَ.

فَقَدْ فَتَحُوا مَدِينَةً بَعْدَ مَدِينَةٍ وَهَزَمُوا
جُنْدًا بَعْدَ جُنْدٍ.

وَجَاءَ رَجُلٌ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ
رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَائِدِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ إِنِّي قَدْ
تَهَيَّأْتُ لِأَمْرِي أَيْ لِلشَّهَادَةِ فَهَلْ لَكَ مِنْ

حَاجَةٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ، نَعَمْ! تُقْرِئُهُ عَنِّي السَّلَامَ وَتَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا.[1]"

حَادِثَةٌ

زَارَنَا مَرَّةً ضَيْفٌ كَرِيمٌ وَبَاتَ عِنْدَنَا لَيْلَةً وَفِي الصَّبَاحِ قُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَحِمُّ يَا سَيِّدِي؟ وَكَانَ يَوْمَ جُمُعَةٍ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ هٰذَا مُغْتَسَلٌ قَالَ بَلْ أَسْتَحِمُّ فِي النَّهْرِ.

وَكَانَ الشَّيْخُ يَعْرِفُ السِّبَاحَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَّفِقْ لَهُ أَنْ يَسْبَحَ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَسَمِعْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْسَى السِّبَاحَةَ إِذَا تَعَلَّمَهَا إِلَّا أَنَّهُ يَتْعَبُ سَرِيعًا.

وَكَانَ النَّهْرُ فَائِضًا وَكَانَ يَجْرِي بِقُوَّةٍ فَخَاضَ الشَّيْخُ النَّهْرَ وَبَدَأَ يَسْبَحُ فَمَا لَبِثَ

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ١١٢ ج ٧

أَنْ كَلَّتْ عَضُدُهُ وَخَارَتْ قُوَاهُ وَأَعْيَا وَدَفَعَهُ
الْمَاءُ بِقُوَّةٍ فَجَعَلَ يَجْرِي فِي تَيَّارِهِ لَا يَمْلِكُ
مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا وَأَيْقَنَ بِالشَّرِّ.

فَجَعَلَ يَصْرُخُ وَيَسْتَغِيثُ وَيَقُولُ يَا رَجُلًا
خُذْ بِيَدِي وَجَعَلَ يَذْكُرُ وَيَقُولُ اللّٰهُ أَكْبَرُ كَأَنَّهُ
فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا وَجَعَلَ يَغْطِسُ وَيَطْفُو.

فَسُقِطَ فِي أَيْدِينَا وَخِفْنَا عَلَيْهِ الْغَرَقَ وَكَانَ
أَحَدُ أَقَارِبِنَا مِمَّنْ يُحْسِنُونَ السِّبَاحَةَ يَغْتَسِلُ
فِي النَّهْرِ فَقُلْنَا دُونَكَ الْأُسْتَاذَ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ
بِسُرْعَةٍ وَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ مُنْجِدًا تَشَجَّعَ قَلِيلًا
وَأَرَادَ أَنْ يُمْسِكَهُ.

وَلَكِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَاقِلًا مُجَرِّبًا وَكَانَ
يَعْرِفُ أَنَّ الْغَرِيقَ يَرْكَبُ مَنْ يُنْجِدُهُ وَيَأْخُذُ
بِتَلَابِيبِهِ وَيَغْرَقَانِ جَمِيعًا فَلَمْ يُمْهِلْهُ مِنْ
نَفْسِهِ بَلْ غَطَسَ وَدَفَعَهُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى
الشَّاطِئِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ يَجْتَهِدُ أَنْ يُمْسِكَهُ
وَالرَّجُلُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ حَتَّى أَوْصَلَهُ

إِلَى الشَّاطِئِ.

وَكَانَ الشَّيْخُ كَالْمُغْمَى عَلَيْهِ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا وَكَانَ عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ يَصِيدُ السَّمَكَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ وَقَالَ مُدَّ عُودَكَ لِيُمْسِكَهُ الشَّيْخُ فَمَدَّ الصَّيَّادُ عُودَهُ وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ وَلَا يُمْسِكُهُ وَبَعْدَ حِينٍ أَمْسَكَ بِالْعُودِ وَوَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ.

وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ فَنَكَسُوهُ حَتَّى قَاءَ بِالْمَاءِ وَأَفَاقَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ الشُّعُورُ وَالْقُوَّةُ.

وَكَانَ عَلَى شَاطِئٍ آخَرَ مِنَ النَّهْرِ فَصَنَعُوا لَهُ مَرْكَبًا مِنَ الْجِرَارِ وَرَكِبَهُ الشَّيْخُ وَأَمْسَكَ بِالْحَبْلِ وَحَوْلَهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ فُرْسَانِ السِّبَاحَةِ وَأَبْطَالِ الْمَاءِ وَرَجَعَ فِي هٰذَا الْمَوْكِبِ إِلَى الشَّاطِئِ وَقَدْ ذُعِرَ الْأُسْتَاذُ بِهٰذِهِ الْحَادِثَةِ فَكَانَ يُوصِي كُلَّ مَنْ يَزُورُ قَرْيَتَنَا أَنْ لَا يَدْخُلَ

النَّهَرَ وَكَانَ يَقُوْلُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَمَتَّعَ بِالدُّنْيَا مِنْ إِيَّاكَ وَالنَّهَرَ .

وَكَانَ الشَّيْخُ لَا يَزَالُ يَعْتِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنَّهُ لَمْ يُنْجِدْهُ وَلَمْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ وَلَا يَرَاهُ مَعْذُوْرًا فِي هٰذَا الْأَمْرِ .

فَتَى الْإِسْلَامِ

هَلْ تَعْرِفُ فِتْيَانًا هُمْ فِي السَّابِعَةَ عَشْرَةَ أَوِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ؟ بَلَّغَكَ اللّٰهُ نَوْعَ هٰذِهِ السِّنِّ وَعَمَّرَكَ طَوِيْلًا !

إِنَّكَ لَتَعْرِفُ مِنْهُمْ كَثِيْرًا ! فَهَلْ تَعْرِفُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَأْكُلُوْنَ وَيَشْرَبُوْنَ وَيَرْتَعُوْنَ وَيَلْعَبُوْنَ وَيَتَجَمَّلُوْنَ فِي الْمَلَابِسِ وَيَتَأَنَّقُوْنَ فِي الْهِنْدَامِ وَالزِّيْنَةِ .

وَإِذَا امْتَازَ بَيْنَهُمْ فَتًى وَعَلَتْ هِمَّتُهُ عَكَفَ عَلَى دِرَاسَتِهِ وَمُطَالَعَتِهِ وَجَدَّ فِيْهَا وَاجْتَهَدَ حَتّٰى بَرَزَ فِي الْإِخْتِبَارَاتِ وَأَحْرَزَ الْجَوَائِزَ

وَالْوِسَامَاتِ.

وَإِذَا طَمَحَ فِيهِمْ شَابٌّ اجْتَهَدَ لِوَظِيفَةٍ فِي مَصْلَحَةٍ مِنْ مَصَالِحِ الْحُكُومَةِ فَصَارَ يَتَقَاضَى رَاتِبًا شَهْرِيًّا.

ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَتِلْكَ أَقْصَى أَمَانِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ.

وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ وَكَانَتِ الْهِمَمُ عَالِيَةً كَانَ الشَّابُّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَطْمَحُ إِلَى إِقَامَةِ الْجِهَادِ وَفَتْحِ الْبِلَادِ فَيَفْتَحُ قُطْرًا أَوْ يُؤَسِّسُ دَوْلَةً أَوْ يَمُوتُ شَهِيدًا.

هٰذَا مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الثَّقَفِيُّ قَدْ غَزَا الْهِنْدَ وَهِيَ بِلَادٌ بَعِيدَةٌ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَرَاءَ الْبِحَارِ فَهَزَمَ الْجُنُودَ وَقَتَلَ الْمُلُوكَ وَوَظَّفَ الْخَرَاجَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ.

وَفَتَحَ مُحَمَّدٌ السِّنْدَ وَتَوَغَّلَ فِي الْهِنْدِ حَتّٰى قَطَعَ نَهْرَ بِيَاسَ إِلَى الْمُلْتَانِ وَفَتَحَهَا وَخَضَعَ أَهْلُ الْهِنْدِ لِمُحَمَّدٍ وَأَحَبُّوهُ لِدِينِهِ

وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ مَعَ أَنَّ الْعَدُوَّ الْقَاهِرَ لَا يُحَبُّ وَصَنَعُوْا لَهُ تِمْثَالاً عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْهِنْدِ.

وَتِلْكَ الْفُتُوْحُ الْعَظِيْمَةُ كُلُّهَا كَانَتْ فِيْ مُدَّةٍ قَصِيْرَةٍ جِدًّا.

هٰذَا وَفَاتِحُ السِّنْدِ لَمْ يَتَجَاوَزِ السَّابِعَةَ عَشَرَةَ مِنْ عُمُرِهِ وَفِيْ ذٰلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:-

سَاسَ الرِّجَالَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
وَلِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِيْ أَشْغَالِ

اَلرِّمَايَةُ

سَأَلْتُ أَبِيْ أَنْ يَشْتَرِيَ لِيْ بُنْدُقِيَّةً صَغِيْرَةً لِأَصِيْدَ الطُّيُوْرَ كَالْيَمَامِ وَالْحَمَامِ وَالْغُرَابِ الَّذِيْ يُؤْذِيْ كَثِيْرًا وَيَلِغُ فِي الْمَاءِ وَأَتَمَرَّنَ عَلَى الرَّمْيِ فَاشْتَرَى لِيْ بُنْدُقِيَّةً وَحُمْشَةً مِنَ الرَّشَاشِ.

وَكُنْتُ إِذَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ أَوْكَانَ يَوْمُ عُطْلَةٍ أَخَذْتُ الْبُنْدُقِيَّةَ وَعَدَدًا

مِنَ الرَّشَّاشِ وَذَهَبْتُ فِي الْبُسْتَانِ أَرْمِي الطُّيُورَ .

وَفِي الْأَوَّلِ لَا أُصِيبُ هَادِفًا وَ أُخْطِئُ كُلَّ مَرَّةٍ ثُمَّ صِرْتُ أُصِيبُ مَرَّةً فِي ثَلَاثِ طَلَقَاتٍ وَ أَصِيدُ بَعْضَ الطُّيُورِ حَتَّى تَمَرَّنْتُ فِي شَهْرَيْنِ وَاسْتَدَّ سَاعِدِي .

وَ رَأَيْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ شَيْئًا غَرِيبًا ، كَانَتْ عِنْدَهُ صَفِيحَةٌ وَكَانَ عَلَى وَجْهِ الصَّفِيحَةِ مِثْلُ فَلْسٍ لَهُ لَوْنٌ يَلْمَعُ وَ يَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ .

وَكَانَ بِجَانِبِ هٰذَا الْفَلْسِ مِثْلُ جِرَابٍ كَانَ يَشْحَنُهُ بِالْبَارُودِ وَ يَسُدُّهُ بِالْقِرْطَاسِ وَكَانَ فِي هٰذِهِ الصَّفِيحَةِ رَسْمٌ مِنْ حَدِيدٍ جُنْدِيٌّ فِي لِبَاسٍ جُنْدِيٍّ فِي يَدِهِ قُبَّعَةٌ .

وَ كُنَّا نُبَارِي فِي الرَّمْيِ وَ نَرْمِي هٰذَا الْفَلْسَ بِالرَّشَّاشِ فَإِذَا أَصَابَ إِنْسَانٌ الْفَلْسَ إِنْطَلَقَ الْمِدْفَعُ وَ سَمِعَ النَّاسُ صَوْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ وَانْفَتَحَ الْبَابُ وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ حَدِيدٍ

فِي يَدِهِ عَلَامَةٌ يُشِيرُ بِهَا إِلَى الْهَدَفِ وَ يُخْبِرُ بِالْإِصَابَةِ.

وَ ظَهَرَ الْجُنْدِيُّ دَافِعًا نُبْعَتَهُ يُسَلِّمُ عَلَى الْمُصِيبِ وَ كَأَنَّهُ يُهَنِّئُهُ بِنَجَاحِهِ.

وَ إِذَا أَخْطَأَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لَمْ يَنْطَلِقِ الْمِدْفَعُ وَ لَمْ يَتَحَرَّكِ الْجُنْدِيُّ مِنْ مَكَانِهِ وَ مِنَ الْغَرِيبِ أَنِّي كُنْتُ أُصِيبُ الْهَدَفَ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ دَائِمًا وَ إِذَا انْطَلَقَ الْمِدْفَعُ سُرِرْتُ سُرُورًا عَظِيمًا.

وَ بَعْدَ أَشْهُرٍ قَدَرْتُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الْبُنْدُقِيَّةَ الْكَبِيرَةَ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فِي الصَّيْدِ وَ أَصِيدُ الْحَمَامَ الْأَخْضَرَ وَ الْبَطَّ وَ أَنْوَاعًا مِنَ الطُّيُورِ.

وَ سَمِعْتُ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَثَّ عَلَى الرَّمْيِ كَثِيرًا وَ شَارَكَ فِي الْمُنَاضَلَةِ وَ قَالَ «إِرْمُوا يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا» وَ قَالَ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»

لَسُرِرْتُ كَثِيرًا وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَمْ يَكُنْ عَبَثًا وَأَنِّي لَمْ أُضَيِّعْ وَقْتِي .

أَلْجَمَلُ

(١)

أُنْظُرُوا إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . تَرَوْنَهَا لَا مَثِيلَ لَهَا فِي الْخِلْقَةِ فَإِنَّ الْجَمَلَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ جِسْمًا وَأَطْوَلُهُ سَاقًا وَلِذٰلِكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةً حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَأَ مِنَ الْأَرْضِ بِدُونِ أَنْ يَبْرُكَ وَرَأْسُهُ صَغِيرٌ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ وَأَرْجُلُهُ فِيهَا أَخْفَافٌ تَمْنَعُهُ [illegible] الصَّحْرَاءِ الَّتِي كَثِيرًا مَا يَسِيرُ فِيهَا [illegible] سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ يُرَكَّبُ عَلَيْهِ الْأَقْتَابُ [illegible] سَوْدَاوَانِ وَاسِعَتَانِ تَشِفَّانِ عَنْ حَ[illegible] وَلَهُ فِي وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيظٌ يُسَمَّى [illegible] يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ مَتَى بَرَكَ وَلَهُ فِي أَرْجُلِهِ قِطَعٌ

عَدِيمَةُ الحِسِّ فِي مَوَاقِعِهَا عَلَى الأَرْضِ.

وَجَوْفُ الجَمَلِ عَجِيبٌ فِي تَرْكِيبِهِ لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى جُمْلَةِ كُرُوشٍ يَخْزَنُ فِيهَا مِقْدَاراً عَظِيماً مِنَ الغِذَاءِ حَتَّى إِذَا جَاعَ وَ لَمْ يَجِدْ أَكْلاً أَخْرَجَ مِنْ كِرْشِهِ جِرَّةً وَاجْتَرَّهَا وَلِذَلِكَ يُسَمَّى حَيَوَاناً مُجْتَرّاً، وَإِذَا فَرَغَ مَا خَزَنَهُ فِي جَوْفِهِ فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئاً فَشَيْئاً لِيَغْذُوَهُ وَ يَكْفِيَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً.

وَلِلْجَمَلِ فِي جَوْفِهِ جُمْلَةُ أَزْقَاقٍ تَمْتَلِئُ بِالمَاءِ عِنْدَ مَا يَشْرَبُ حَتَّى إِذَا عَطِشَ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ لَا مَاءَ فِيهِ أَغْنَاهُ مَا خَزَنَهُ عَنِ الشُّرْبِ زَمَناً طَوِيلاً.

اَلْجَمَلُ

(٢)

فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ مِنَ الدُّنْيَا صَحَارَى قَاحِلَةٌ لَا حَيَوَانَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَّةٌ

لا تَرَى فِيهَا قَطْرَةَ مَاءٍ يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَارًا فَيَحْمِلُونَ زَادَهُمْ مِنْ مَاءٍ وَطَعَامٍ عَلَى ظُهُورِ الْجِمَالِ وَ يَسِيرُونَ فِي تِلْكَ الْقِفَارِ مُجْتَمِعِينَ وَ إِبِلُهُمْ مُتَتَابِعَةٌ كَالْقِطَارِ وَهِيَ تَسِيرُ بِهِمْ هَادِئَةً سَاكِنَةً تَصْبِرُ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مُعْظَمَ الطَّرِيقِ لِأَنَّهَا قَدْ خَزَنَتْ مَؤُونَتَهَا فِي جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّحِيلِ وَ تَحْمِلُ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الْمَتَاجِرِ أَحْمَالاً ثِقَالاً لَا تَئِنُّ مِنْهَا وَلَا تَكِلُّ فَتَرَى الْجَمَلَ كَأَنَّهُ مَرْكَبٌ يَشُقُّ تِلْكَ الرِّمَالَ الْوَاسِعَةَ، وَلِذَا سُمِّيَ سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ.

وَ إِنْ ضَلَّ الْمُسَافِرُونَ الطَّرِيقَ فِي الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُهُمُ الْقَلَقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ مَخَافَةَ أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ فَيَمُوتُونَ جُوعًا وَ عَطَشًا وَلَكِنَّ الْجَمَلَ يُنْقِذُهُمْ أَحْيَانًا مِنْ تِلْكَ الْأَخْطَارِ لِأَنَّهُ يَشُمُّ الْمَاءَ مِنْ بُعْدٍ فَيَسِيرُ نَحْوَهُ بِسُرْعَةٍ غَرِيبَةٍ لِيَسْتَقِيَ صَاحِبُهُ.

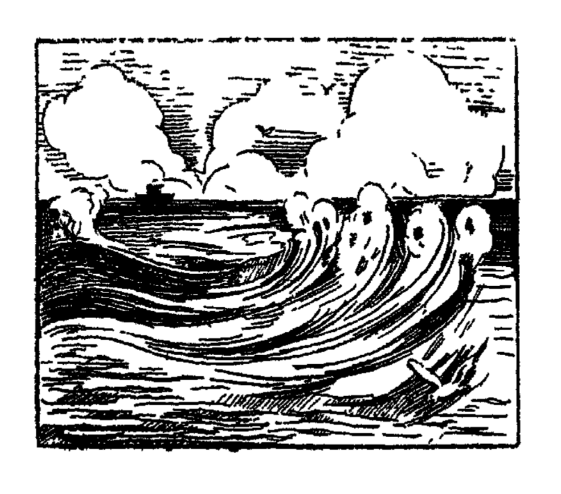
وَ الْجَمَلُ سَهْلُ الْقِيَادِ لَيِّنُ الطِّبَاعِ يَتَحَمَّلُ كَثِيْرًا مِنَ الْأَذٰى بِالصَّبْرِ وَ لٰكِنَّهُ يَثُوْرُ مَتٰى بَلَغَ الْأَذٰى شِدَّةً عَظِيْمَةً فَيَتَأَثَّرُ مِمَّنْ آذَاهُ وَ لَا يَتْرُكُهُ إِلَّا إِذَا ثَارَ لِنَفْسِهٖ وَ نَتَكَ بِهٖ .

وَ إِذَا قَوِيَ الْجَمَلُ إِشْتَدَّ بَأْسُهُ وَ عَافَ الْأَكْلَ مَا لَمْ يُوْضَعْ فِيْ فَمِهٖ وَ يَقُوْلُ النَّاسُ عَنْهُ إِنَّهُ صَائِمٌ وَ فِيْ هٰذِهِ الْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقْشِقَتَهُ مِنْ حَلْقِهٖ وَ يَتَشَنَّجُ مِنَ الْغَضَبِ .

(القراءة الرشيدة)

أَنَا هُنَا فَاعْرِفُوْنِيْ!

مَوْلِدِيْ وَ وَطَنِيْ مَا تُسَمُّوْنَهُ الْبَحْرَ! أَنَا ابْنُ أُمَّةٍ عَظِيْمَةٍ قَدِ امْتَدَّتْ عَلٰى مَسَافَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَمْيَالِ وَ يَقُوْلُوْنَ إِنَّ أُمَّتِيْ أَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ الْبَرِّ فَقَدْ شَغَلْنَا نَحْنُ ثَلٰثَةَ أَرْبَاعِ الْكُرَةِ وَ الْيَابِسُ مِنْهَا نَحْوُ رُبْعٍ وَ قَدْ فَارَقْتُ وَطَنِيْ قَبْلَ شَهْرَيْنِ لَـمَّا



انا هنا شاعر قومي

اشتدّ الحرُّ في هذا الصيفِ، فتكوّن بخارٌ
وفارقَ البحرَ وسارت به الرياحُ إلى الجبالِ
وهو السحابُ المسخَّرُ بين السماءِ والأرضِ
فلمّا جاءه الأمرُ من اللهِ تحلّل هذا البخارُ
بالحرارةِ ونزل قطراتٍ قطراتٍ على الأرضِ
وقال الناسُ المطرُ! المطرُ! وأنا هنا فاعرفوني!

لعلّكم رأيتم قِدرًا على النارِ فيها ماءٌ
فإذا غلتِ القِدرُ تصاعدَ منها مثلُ دخانٍ
وهو البخارُ، وأنا هنا فاعرفوني!

وإذا نزل المطرُ وجمدت قطراتٌ من
البردِ ووقعت على الأرضِ مثلَ الزجاجِ و
قال الناسُ البردُ! البردُ! وأنا هنا فاعرفوني!

وقد أسقطُ في الجبالِ مثلَ الصوفِ الأبيضِ
اللامعِ وألمعُ في الشمسِ مثلَ اللُّجَيْنِ، فيكون
منظرًا جميلًا ويقولُ الناسُ الثلجُ! الثلجُ!
وأنا هنا فاعرفوني!

وقد يشتدُّ البردُ في الشتاءِ فيجعلُ ما كان

مِنَ السَّمَاءِ وَ يَقُولُ النَّاسُ الْجَلِيدُ ! الْجَلِيدُ !
وَ أَنَا هُنَا فَاعْرِفُونِي !

وَ إِذَا هَبَطْتُ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْأَرْضِ
وَ زَاحَمَتْنِي صُخُورٌ أَوْ أَحْجَارٌ كَانَ شَلَّالٌ
يَكُونُ لَهُ صَوْتٌ هَائِلٌ وَ مَنْظَرٌ جَمِيلٌ ، وَ
أَنَا هُنَا فَاعْرِفُونِي !

وَ إِذَا اجْتَمَعَتْ شَلَّالَاتٌ خَرَجَتْ مِنَ الْجِبَالِ
تَكَوَّنَ نَهْرٌ يَكُونُ فِي مَبْدَأِهِ صَغِيرًا ثُمَّ يَكُونُ
عَرِيضًا عَمِيقًا وَ قَالَ النَّاسُ نَهْرُ السِّنْدِ وَ نَهْرُ
دِجْلَةَ وَ الْفُرَاتِ وَ النِّيلِ وَ أَنَا هُنَا فَاعْرِفُونِي !

وَ لَعَلَّكَ رَأَيْتَ فِي الصَّبَاحِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ
مِثْلَ الدُّخَانِ وَ يُسَمِّيهِ النَّاسُ الضَّبَابَ ، وَ أَنَا
هُنَا فَاعْرِفُونِي !

وَ لَعَلَّكَ رَأَيْتَ قَطَرَاتٍ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ
وَ عَلَى الْعُشْبِ وَ الْأَزْهَارِ فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ وَ يُسَمِّيهَا
النَّاسُ الطَّلَّ وَ النَّدَى ، وَ أَنَا هُنَا فَاعْرِفُونِي !

وَ قَدْ أَحْمَدُ بِالصِّنَاعَةِ فِي الْمَصَانِعِ وَ يَخْرُجُ

عَلَى النَّاسِ أَيَّامَ الصَّيْفِ فَلَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ يَغْلِي هٰذَا الْجَمَدِ وَلَا يَرْوُوْنَ إِلَّا بِهِ، وَأَنَا هُنَا فَاعْرِفُونِي!

سَفِينَةٌ عَلَى الْبَرِّ

هَلْ سَمِعْتَ بِسَفِينَةٍ تَسِيرُ عَلَى الْبَرِّ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ إِذَا أَخْبَرَكَ بِهِ أَحَدٌ؟

أَظُنُّكَ تَقُولُ وَلَكَ الْحَقُّ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَلٰكِنَّ مُحَمَّدًا الثَّانِيَ الْعُثْمَانِيَّ فَاتِحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ سَيَّرَ سَبْعِينَ سَفِينَةً عَلَى الْبَرِّ.

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ؟

غَزَا الْعَرَبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ الْعُظْمَى سِتَّ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَفْتَحُوهَا وَقَدْ قَدَّرَ اللّٰهُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ بِيَدِ شَابٍّ مُسْلِمٍ مِنْ آلِ عُثْمَانَ وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ وَذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

زَحَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَأَعَدَّ

لِذَلِكَ عُدَّةً عَظِيمَةً فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى « وَأَعِدُّوا
لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ »

فَكَانَ تَحْتَ قِيَادَتِهِ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ
وَمَعَهُ مِدْفَعِيَّةٌ هَائِلَةٌ فِيهَا مِدْفَعٌ لَا يُوجَدُ
فِي أُورُبَّا أَضْخَمُ مِنْهُ أَعَدَّهُ لِذَلِكَ، مَرْمَاهُ
أَكْثَرُ مِنْ مِيلٍ.

وَكَانَ أُسْطُولُهُ مُرَكَّبًا مِنْ مِائَةِ سَفِينَةٍ حَرْبِيَّةٍ
وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا رَأَى أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ سَلْسَلَ
خَلِيجَ قَرْنِ الذَّهَبِ وَهُوَ مَدْخَلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
بِالسَّلَاسِلِ فَكَيْفَ يَعْبُرُهُ بِأُسْطُولِهِ ؟

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ وَلَمْ يَعْجِزْ وَلَمْ يَيْأَسْ وَوَجَدَ
حِيلَةً !

رَأَى أَنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُورُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ
جِهَةِ قَاسِمِ بَاشَا.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْجِهَةُ بَعِيدَةٌ مِنْ سُفُنِهِ فَمَنْ
يَحْمِلُهَا وَمَنْ يَنْقُلُهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ إِلَى تِلْكَ
الْجِهَةِ وَالْمَسَافَةُ بَعِيدَةٌ.

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ وَ لَمْ يَعْجَزْ وَ لَمْ يَيْأَسْ وَ وَجَدَ حِيْلَةً !

طَلَى الْأَخْشَابَ بِالشَّحْمِ فَلَمَّا أَمْلَسَتْ أَزْلَقَ عَلَيْهَا السُّفُنَ وَ هِيَ سَبْعُوْنَ سَفِيْنَةً .

وَ مَا رَاعَ أَهْلَ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةِ إِلَّا وَ سُفُنُ الْمُسْلِمِيْنَ قَدْ أَرْسَتْ عَلَى سَاحِلِ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةِ وَ سُقِطَ فِيْ أَيْدِيْهِمْ .

وَ هٰكَذَا أَخَذَ مُحَمَّدٌ الْقُسْطُنْطِيْنِيَّةَ عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ الْبِيْزَنْطِيْنِيَّةِ وَ سَقَطَتْ عَاصِمَةُ النَّصْرَانِيَّةِ الْمَنِيْعَةِ أَمَامَ قَائِدٍ مُسْلِمٍ شَابٍّ .

وَ لَا تَزَالُ هٰذِهِ الْمَدِيْنَةُ الْعَظِيْمَةُ وَ تُرْكِيَا فِيْ يَدِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ سَنَةِ ٨٥٣ هـ يَوْمَ فَتَحَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُرَادٍ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا .

(وَ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ)

اَلْخَلِيْفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ رحمة الله عليه

وُلِدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ سَنَةَ ٦١ وَ أُمُّهُ

أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، جَمَعَ الْقُرْآنَ وَهُوَ صَغِيرٌ وَبَعَثَهُ أَبُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ يَتَأَدَّبُ بِهَا وَكَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ كَثِيرًا لِمَكَانِ أُمِّهِ مِنْهُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أُمِّهِ فَيَقُولُ يَا أُمَّهْ أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ خَالِي.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي شَبَابِهِ مُتَنَعِّمًا يُكْثِرُ مِنَ الطِّيبِ حَتَّى تُوجَدُ رَائِحَتُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَمُرُّ فِيهِ وَ يَمْشِي مِشْيَةً تُسَمَّى الْعُمَرِيَّةَ كَانَ الْجَوَارِي يَتَعَلَّمْنَهَا مِنْ حُسْنِهَا وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هٰذَا التَّنَعُّمِ حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَزَهِدَ فِي الدُّنْيَا وَرَفَضَهَا.

وَكَانَ فِي شَبَابِهِ وَوِلَايَتِهِ لِلْمَدِينَةِ كَثِيرًا لتَّعْظِيمِ لِلْعُلَمَاءِ شَدِيدَ الْإِعْظَامِ لِمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاشِعًا مُتَدَيِّنًا.

وَعَهِدَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَعُمَرُ لَا يَعْلَمُ فَلَمَّا عَلِمَ فَزِعَ

وَقَالَ وَاللّٰهِ إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ مَا سَأَلْتُ اللّٰهَ
قَطُّ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَرَاكِبِ مَرْكَبَ
الْخَلِيفَةِ فَأَبَى وَقَالَ إِيتُونِي بِبَغْلَتِي وَرَدَّ
الْمَرَاكِبَ وَالسُّرَادِقَاتِ وَالْفُرُشَ وَالْأَدْهَانَ
وَالثِّيَابَ الْخَاصَّةَ بِالْخَلِيفَةِ إِلَى بَيْتِ
مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَجَلَسَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَحَمَلَهُمْ عَلَى
الشَّرِيعَةِ وَرَدَّ الْمَظَالِمَ وَأَحْيَى الْكِتَابَ
وَالسُّنَّةَ وَسَارَ بِالْعَدْلِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَ
زَهَدَ فِيهَا وَنَهَى عَنِ الْقِيَامِ وَابْتَدَأَ بِالسَّلَامِ
وَتَرَكَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ وَتَرَكَ أَنْ يُخْدَمَ .

كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ إِلَى السِّرَاجِ
فَأَصْلَحَهُ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكْفِيكَ
قَالَ وَمَا ضَرَّنِي ؟ قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَأُتِيَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْفَيْءِ بِعَنْبَرَةٍ فَأَخَذَهَا

بِيَدِهِ فَمَسَحَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُفِعَتْ حَتَّى تُبَاعَ ثُمَّ أَمَرَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ فَوَجَدَ رِيحَهَا فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ.

وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَأْتِيهِ بِقُمْقُمٍ مِنْ مَاءٍ مُسَخَّنٍ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ فَقَالَ لِلْغُلَامِ يَوْمًا: أَتُسَخِّنُ الْمَاءَ فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ نَعَمْ.

قَالَ أَفْسَدْتَهُ عَلَيْنَا ثُمَّ حَاسَبَ تِلْكَ الْأَيَّامَ وَأَدْخَلَ الْحَطَبَ فِي الْمَطْبَخِ وَأَبْطَأَ يَوْمًا عَنِ الْجُمُعَةِ قَلِيلًا فَعُوتِبَ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ إِنَّمَا انْتَظَرْتُ قَمِيصِي غَسَلْتُهُ أَنْ يَجِفَّ قَالَ أَزْهَرُ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ مَرْقُوعٌ.

أَلْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

(٢)

وَلَمْ يُحْدِثْ عُمَرُ مُنْذُ وَلِيَ دَابَّةً وَلَا إِمْرَأَةً وَلَا جَارِيَةً حَتَّى لَحِقَ بِاللّٰهِ وَلَمْ يَرَ

صاحبكا منذ ولي الخلافة حتى لقي الله .

وأتت سلتا رطب من الأردن فقال ما هذا ؟ قالوا رطب بعث به أمير الأردن قال على م جيء به ؟ قالوا على دواب البريد قال فما جعلني الله أحق بدواب البريد من المسلمين . أخرجوهما فبيعوهما واجعلوا ثمنهما في علف دواب البريد فاشتراهما في السوق ابن أخيه فأهدى إحداهما إليه فأكل وقال الآن طاب لي أكله .

ودخل على بناته ذات ليلة فوضعن أيديهن على أفواههن فقال للحاضنة ما شأنهن ؟ قالت لم يكن عندهن شيء يتعشينه إلا عدس وبصل فكرهن أن تشم ذلك من أفواههن فبكى عمر ثم قال لهن يا بناتي ما ينفعكن أن تعشين الألوان ويمر بأبيكن إلى النار فبكين حتى علت أصواتهن ووضع عمر حلي زوجته في

بَيْتِ الْمَالِ وَأَرْجَعَ مَزَارِعَهُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَإِذَا كَانَ فِي حَوَائِجِ الْعَامَّةِ كَتَبَ عَلَى الشَّمْعِ وَإِذَا صَارَ إِلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ.

وَقَدْ أَغْنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّاسَ حَتَّى لَمْ يُوجَدْ فَقِيرٌ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ.

وَكَانَ لَا يُؤَخِّرُ عَمَلَ الْيَوْمِ لِلْغَدِ وَلَا يَعْجَزُ قَالَ بَعْضُ إِخْوَتِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ رَكِبْتَ فَتَرَوَّحْتَ قَالَ فَمَنْ يَقْضِي شُغْلَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ؟ قَالَ تَقْضِيهِ مِنَ الْغَدِ قَالَ لَقَدْ ثَقُلَ عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ عَلَيَّ عَمَلُ يَوْمَيْنِ؟

مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ١٠١هـ

فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِيْ بَيْتِيْ نَزَلَ فِي السُّفْلِ وَ أَنَا وَ أُمُّ أَيُّوْبَ فِي الْعُلُوِّ فَقُلْتُ لَهُ يَا نَبِيَّ اللّٰهِ بِأَبِيْ أَنْتَ وَ أُمِّيْ إِنِّيْ لَأَكْرَهُ وَ أُعْظِمُ أَنْ أَكُوْنَ فَوْقَكَ وَ تَكُوْنَ تَحْتِيْ فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ وَ نَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُوْنَ فِي السُّفْلِ فَقَالَ يَا أَبَا أَيُّوْبَ إِنَّ أَرْفَقَ بِنَا وَ بِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُوْنَ فِيْ سُفْلِ الْبَيْتِ.

قَالَ فَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِيْ سُفْلِهِ وَ كُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ فَلَقَدْ إِنْكَسَرَ حُبٌّ لَنَا فِيْهِ مَاءٌ. فَقُمْتُ أَنَا وَ أُمُّ أَيُّوْبَ بِقَطِيْفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا نُنَشِّفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيَهُ.

قَالَ وَ كُنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَ أُمُّ أَيُّوْبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْتُ مِنْهُ نَبْتَغِيْ بِذٰلِكَ الْبَرَكَةَ حَتّٰى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ وَ قَدْ جَعَلْنَا لَهُ

فِيهِ بَصَلاً أَوْ ثُوماً فَرَدَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَراً قَالَ فَجِئْتُهُ فَزِعاً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي رَدَدْتَ عَشَاءَكَ وَلَمْ أَرَ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ وَكُنْتَ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ.

قَالَ إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجِي فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ.

قَالَ فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ.

(سيرة ابن هشام)

الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

وُلِدَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وَتِسْعِينَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَسَمِعَ الزُّهْرِيَّ وَنَافِعاً مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ رَبِيعَةَ الرَّأْيِ، وَقَالَ قَلَّ رَجُلٌ

كُنْتُ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَا مَاتَ حَتَّى يَجِيئَنِي وَيَسْتَفْتِيَنِي.

وَكَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الْعِلْمِ يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَيْهِ مِنَ الْآفَاقِ وَيَزْدَحِمُونَ عَلَى بَابِهِ لِأَخْذِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ كَازْدِحَامِهِمْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ، وَكَانَ النَّاسُ يَفْتَخِرُونَ بِالرِّوَايَةِ عَنْهُ وَكَانَ ذَلِكَ شَيْئًا كَبِيرًا فِي عَصْرِهِ فَإِذَا قَالَ أَحَدٌ حَدَّثَنِي مَالِكٌ رَفَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ.

وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي الْفِقْهِ وَالْفَتْوَى.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي بِالْمَدِينَةِ أَلَا لَا يُفْتِي النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ وَمِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ، لَا يُفْتَى وَمَالِكٌ فِي الْمَدِينَةِ.

وَكَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ شَدِيدَ التَّعْظِيمِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ اغْتَسَلَ وَتَطَيَّبَ وَلَبِسَ ثِيَابًا جُدُدًا وَتَعَمَّمَ وَقَعَدَ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَوَقَارٍ وَتُبَخَّرُ بِالْعُودِ مِنْ أَوَّلِهِ فَلَا يَزَالُ يُتَبَخَّرُ إِلَى فَرَاغِهِ،

وَقِيْلَ لَهُ فِيْ ذَلِكَ فَقَالَ أُحِبُّ أَنْ أُعَظِّمَ حَدِيْثَ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أُحَدِّثَ بِهِ إِلَّا مُتَمَكِّنًا عَلَى طَهَارَةٍ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَلَى الطَّرِيْقِ أَوْ مُسْتَعْجِلًا وَيَقُوْلُ أُحِبُّ أَنْ أَتَفَهَّمَ مَا أُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مُبَارَكٍ كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ وَهُوَ يُحَدِّثُنَا فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ سِتَّ عَشَرَةَ مَرَّةً وَمَالِكٌ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيْثَ فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ قَالَ إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلَالًا لِلْحَدِيْثِ.

وَكَانَ لَا يَرْكَبُ فِي الْمَدِيْنَةِ عَلَى ضُعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ وَيَقُوْلُ لَا أَرْكَبُ فِيْ مَدِيْنَةٍ فِيْهَا جُثَّةُ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدْفُوْنَةٌ.

وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ وَقَارٍ وَحِلْمٍ وَعِلْمٍ وَكَانَ رَجُلًا مَهِيْبًا نَبِيْلًا لَيْسَ فِيْ مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمِرَاءِ وَاللَّغَطِ وَلَا رَفْعُ صَوْتٍ وَكَانَ الْغُرَبَاءُ

يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ فَلَا يُجِيبُ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْحَدِيثِ .

سَأَلَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكًا أَنْ يَأْتِيَ فَأَبَى فَأَتَى هَارُونُ مَالِكًا وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ وَمَعَهُ بَنُوهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَا قَرَأْتُ عَلَى أَحَدٍ مُنْذُ زَمَانٍ وَإِنَّمَا يُقْرَأُ عَلَيَّ ، فَقَالَ هَارُونُ أَخْرِجِ النَّاسَ حَتَّى أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ فَقَالَ إِذَا مُنِعَ الْعَامُّ لِبَعْضِ الْخَاصِّ لَمْ يَنْتَفِعِ الْخَاصُّ .

وَدَخَلَ مَالِكٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْصُورٍ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ وَإِذَا جَاءَ صَبِيٌّ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ فَقَالَ لِي أَتَدْرِي مَنْ هٰذَا ؟ فَقُلْتُ لَا ! قَالَ ابْنِي وَإِنَّمَا يَفْزَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ ،

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ ضُرِبَ مَالِكٌ سَبْعِينَ سَوْطًا لِأَجْلِ فَتْوَى لَمْ تُوَافِقْ غَرَضَ السُّلْطَانِ فَغَضِبَ وَدَعَا بِهِ وَجَرَّدَهُ وَضَرَبَهُ بِالسِّيَاطِ وَمُدَّتْ يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ

كَتِفَهُ فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ الضَّرْبِ فِيْ عُلُوٍّ وَ رِفْعَةٍ وَكَأَنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ السِّيَاطُ حُلِيًّا حُلِّيَ بِهِ

وَكِتَابُهُ الْمُوَطَّأُ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ الْحَدِيْثِ وَمِنَ الْكُتُبِ الْمَقْبُوْلَةِ فِي الْإِسْلَامِ، رَزَقَكَ اللّٰهُ قِرَاءَتَهُ وَالْإِنْتِفَاعَ بِهِ وَسَيَكُوْنُ ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ إِذَا تَقَدَّمْتَ فِي الْعِلْمِ.

تُوُفِّيَ مَالِكٌ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِيْنَ وَمِائَةٍ.

أَلْقَاطِرَةُ

(١)

ذَهَبَ رَشِيْدٌ مَعَ أَبِيْهِ سَعِيْدٍ إِلَى الْمَحَطَّةِ يَسْتَقْبِلُ أَخَاهُ مَحْمُوْدًا وَكَانَ قَادِمًا مِنْ دِيُوْبَنْدَ فِيْ مُسَامَحَةِ عِيْدِ الْأَضْحٰى.

وَكَانَ الْقِطَارُ مُتَأَخِّرًا فَأَخَذَ سَعِيْدٌ يَتَجَوَّلُ عَلَى الْمَحَطَّةِ يُحَدِّثُ سَعِيْدًا عَنِ الْقِطَارِ وَنِظَامِ الْمَحَطَّةِ وَانْتَقَلَ مَعَهُ إِلَى

وَصِنْفٌ آخَرُ .

وَكَانَ قِطَارٌ وَاقِفًا هُنَا تَصْفِرُ قَاطِرَتُهُ وَ
يَخْرُجُ مِنْهَا بُخَارٌ كَثِيفٌ مُتَصَاعِدٌ .

قَالَ رَشِيدٌ حَدِّثْنِي الْيَوْمَ يَا أَبِي عَنِ
الْقَاطِرَةِ كَيْفَ تَجُرُّ الْقِطَارَ وَكَيْفَ تُسْرِعُ
فِي السَّيْرِ ؟

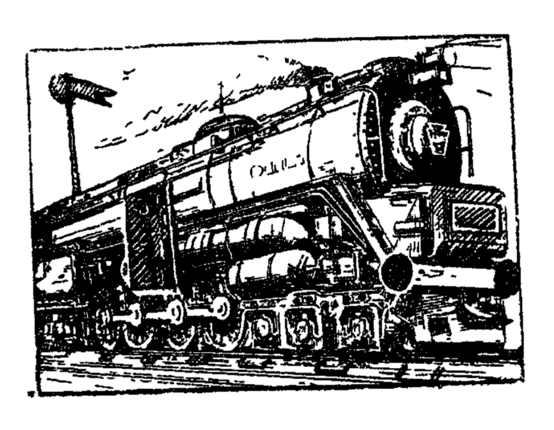
قَالَ سَعِيدٌ لَقَدْ سَأَلْتَ بِهِ خَبِيرًا فَقَدْ
كُنْتُ مُوَظَّفًا فِي الْقِطَارِ وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا فِي
تَفْصِيلٍ فَقُمْ بِجَانِبِي أَمَامَ هٰذِهِ الْقَاطِرَةِ
وَلَاحِظْهَا .

أُنْظُرْ يَا رَشِيدُ إِلَى الْقَاطِرَةِ تَرَهَا صُنِعَتْ
مِنَ الْحَدِيدِ وَلَهَا سِتُّ عَجَلَاتٍ تَسِيرُ عَلَيْهَا
وَهِيَ قَوِيَّةٌ جِدًّا كَأَنَّهَا عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ
تَجُرُّ قِطَارَ الْبِضَاعَةِ وَهُوَ طَوِيلٌ وَثَقِيلٌ جِدًّا
وَتَجُرُّ قِطَارَ الرُّكَّابِ وَفِيهِ النَّاسُ وَأَثْقَالُهُمْ
وَتَجُرُّ الْقِطَارَ السَّبَّاقَ وَهُوَ أَسْرَعُ الْقُطُرِ
يَقْطَعُ خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ .

وَالْقِطَارُ السَّرِيعُ وَيَقْطَعُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ وَالْقِطَارُ الْوَقَّافُ يَقْطَعُ نَحْوَ ثَلَاثِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ، تَجُرُّ الْقِطَارَ مِنْ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَاهَا مَثَلًا مِنْ بَمْبَئِي إِلَى بِيْشَاوَرَ وَمِنْ دِهْلِي إِلَى مَدْرَاس.

وَقُوَّةُ هٰذِهِ الْقَاطِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْبُخَارُ الْحَقِيرُ الَّذِي لَا نَعْبَأُ بِهِ وَلَا نُحَاسِبُ لَهُ حِسَابًا وَقَدْ اِهْتَدَى "إِسْتِيفِنْ" سَنْ مُخْتَرِعُ الْقِطَارِ إِلَى قُوَّةِ هٰذَا الْبُخَارِ وَاهْتَدَى إِلَى تَسْخِيرِهِ وَالْاِنْتِفَاعِ بِهِ فِي الْأَغْرَاضِ وَعَلِمَ بِعَقْلِهِ وَدِرَاسَتِهِ أَنَّهُ بِقُوَّتِهِ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ وَيَنْقُلُ الْجِبَالَ وَيَأْتِي بِالْعَجَائِبِ.

وَذٰلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَالْعَالِمِ وَبَيْنَ الْعَامِّيِّ وَالْمُكْتَشِفِ يَرَى الْأَوَّلُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا وَلَا يُلْقِي عَلَيْهِ بَالًا وَيَرَاهُ الثَّانِي فَيَعْرِفُ قِيمَتَهُ وَيَجْتَهِدُ فِيهِ حَتَّى يُسَخِّرَهُ لِغَرَضِهِ.



أَلْقَاطِرَةُ

(٢)

أُنْظُرْ يَا رَشِيدُ إِلَى هٰذَا الْمَوْقِدِ فِي الْقَاطِرَةِ يُلْقِي فِيهِ الرَّجُلُ الْفَحْمَ الْحَجَرِيَّ وَفَوْقَ هٰذَا الْمَوْقِدِ حَوْضٌ مِنْ مَاءٍ مَتِينٌ جِدًّا وَفِيهِ أَنَابِيبُ عَدِيدَةٌ يَسْخُنُ هٰذَا الْمَاءُ بِالنَّارِ وَيَتَحَوَّلُ بُخَارًا وَيَنْتَقِلُ هٰذَا الْبُخَارُ إِلَى الْأَنَابِيبِ.

وَتَعَالَ مَعِيَ نَدْخُلْ فِي الْقَاطِرَةِ فَإِنَّ سَائِقَهَا مِنْ أَصْدِقَائِي وَهُنَا تَفْهَمُ تَرْكِيبَ الْقَاطِرَةِ جَيِّدًا.

أُنْظُرْ إِلَى الْأَنَابِيبِ إِنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِهٰذِهِ الْآلَاتِ الدَّقِيقَةِ الَّتِي تُدِيرُ عَجَلَاتِ الْقَاطِرَةِ فَإِذَا اجْتَمَعَ هٰذَا الْبُخَارُ فِي الْأَنَابِيبِ دَفَعَ بِقُوَّتِهِ الْآلَاتِ فَأَدَارَهَا وَبِدَوَرَانِهَا تَدُورُ الْعَجَلَاتُ وَتَسِيرُ الْقَاطِرَةُ.

وَهٰذَا هُوَ الْوَقَّادُ الَّذِي يُرَاقِبُ النَّارَ وَالْمَاءَ وَيُشْرِفُ عَلَيْهِمَا وَهٰذَا مِثَالُ يَقُودُهَا السَّائِقُ وَإِذَا كَانَتِ الْقَاطِرَةُ تَجُرُّ الْقِطَارَ وَتُوصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَى دِيَارٍ فَصَاحِبُنَا يَسُوقُ الْقَاطِرَةَ فَهُوَ مِفْتَاحُ الْقِطَارِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي سَيْرِ الْقِطَارِ وَهُوَ يَسْهَرُ عَلَى عَمَلِهِ وَيَقُومُ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ وَجِدٍّ، وَكَذٰلِكَ أَمِينُ الْقِطَارِ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مِنَ الرُّكَّابِ فَإِنَّهُ يَلْحَظُ الطَّرِيقَ وَيَحْفَظُ وُقُوفَ الْقِطَارِ وَسَيْرَهُ وَالسَّائِقُ وَالْقَاطِرَةُ طَوْعُ إِشَارَتِهِ.

إِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَحْمَرَ وَقَفَ الْقِطَارُ وَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَخْضَرَ تَحَرَّكَ الْقِطَارُ.

وَانْظُرْ إِلَى هٰذِهِ الْآلَةِ الَّتِي فِي يَدِ السَّائِقِ هٰذِهِ ..... فَإِذَا دَفَعَهَا السَّائِقُ إِلَى فَوْقَ إِنْدَفَعَ الْبُخَارُ وَسَارَتِ الْقَاطِرَةُ وَإِذَا ضَغَطَ عَلَيْهَا سَكَنَ الْبُخَارُ وَهَدَأَتِ الْقَاطِرَةُ حِينَئِذٍ يَضْغَطُ السَّائِقُ عَلَى آلَةٍ أُخْرَى وَهِيَ هٰذِهِ وَتُسَمَّى

المِصْرَ وَ تَقِفُ القَاطِرَةُ مِنْ سَاعَتِهَا وَالعَرَبَاتُ
كُلُّهَا مُرَكَّبَةٌ بِالقَاطِرَةِ تَسِيرُ بِسَيْرِهَا وَتَقِفُ
بِوُقُوفِهَا .

وَهٰذَا هُوَ الخَطُّ الحَدِيدِيُّ الَّذِي يَسِيرُ
عَلَيْهِ القِطَارُ وَلَوْلَا هُوَ لَغَاصَ القِطَارُ فِي الأَرْضِ
لِأَنَّ التُّرْبَةَ لَا تَحْمِلُ ثِقَلَ القِطَارِ .

هٰذِهِ هِيَ القَاطِرَةُ الَّتِي تَجُرُّ القِطَارَ وَ
هٰذَا هُوَ القِطَارُ الَّذِي يُوصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ
دِيَارٍ إِلَى دِيَارٍ وَيَحْمِلُ أَثْقَالَ النَّاسِ إِلَى بَلَدٍ
لَمْ يَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ .

أُنْظُرْ يَا رَشِيدُ كَيْفَ أَلْهَمَ اللهُ الإِنْسَانَ
الحِكْمَةَ وَالصِّنَاعَةَ وَرَزَقَهُ العَقْلَ الَّذِي
يُسَخِّرُ بِهِ الحَدِيدَ وَالبُخَارَ أَفَلَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ
تَقُولَ إِذَا رَكِبْتَ القِطَارَ ،

« سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا
لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ »

جِسْمُ النَّبَاتِ

(١)

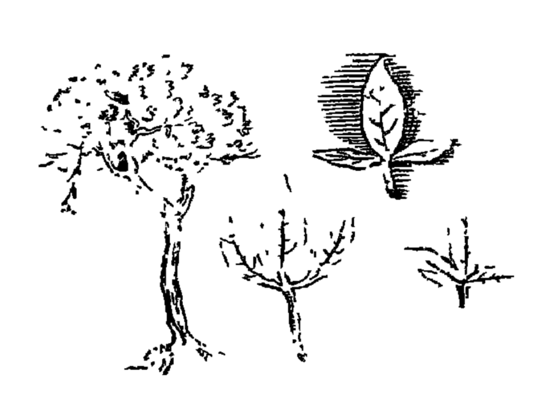
كَانَ أَمَامَ بَيْتِ عَبَّاسٍ حَدِيْقَةٌ فِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ قَالَ لَه أَبُوهُ عُمَرُ مَرَّةً فِي يَوْمِ عُطْلَةٍ هَلْ رَأَيْتَ يَا عَبَّاسُ حَدِيْقَةَ الدَّارِ؟

قَالَ عَبَّاسٌ كَيْفَ يَا أَبِي وَهِيَ حَدِيْقَةُ دَارِنَا أَلْعَبُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءَ!

قَالَ عُمَرُ مَا أَظُنُّكَ رَأَيْتَهَا فَتَعَالَ مَعِيَ نَتَمَشَّى فِي الْحَدِيْقَةِ وَنَدْرُسِ النَّبَاتَ فَإِنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللهِ وَكِتَابٌ يَجِبُ أَنْ نُطَالِعَهُ.

خَرَجَ عُمَرُ وَعَبَّاسُ إِلَى الْحَدِيْقَةِ فَرَأَى عَبَّاسُ الْبُسْتَانِيَّ يُصْلِحُ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ وَيُنَحِّيَ الْحَجَرَ وَالْخَزَفَ وَيَقْلَعَ الْحَشَائِشَ وَالْأَعْشَابَ فَسَأَلَ عَبَّاسٌ أَبَاهُ عَنْ ذٰلِكَ.

قَالَ عُمَرُ، الرَّجُلُ يُصْلِحُ الْأَرْضَ وَيُهَيِّئُهَا يَغْرِسِ الْأَشْجَارِ فَإِذَا بَقِيَتِ الْأَحْجَارُ وَالْخَزَفُ



لَمْ يَنْبُتِ الفَسِيلُ فِي الأَرْضِ وَ لَمْ تَمْتَدَّ جُذُورُهُ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ وَإِذَا تُرِكَتْ هٰذِهِ الحَشَائِشُ الشَّيْطَانِيَّةُ اِمْتَصَّتْ غِذَاءَ الفَسِيلِ وَ ذَوَى الفَسِيلُ وَ البُسْتَانِيُّ النَّاصِحُ المُجْتَهِدُ يَحْرُثُ الأَرْضَ كَمَا يَحْرُثُ الفَلَّاحُ الحَقْلَ وَ يُلْقِي فِيهَا السَّمَادَ وَ يَسْقِيهَا كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى تُصْبِحَ الأَرْضُ رِخْوَةً كَرِيمَةً تَقْبَلُ كُلَّ مَا يُلْقَى فِيهَا!

ثُمَّ يَغْرِسُ الفَسَائِلَ فِي مَكَانٍ تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ كُلَّ يَوْمٍ.

هُنَا قَاطَعَهُ عَبَّاسٌ وَ قَالَ وَهَلْ يَحْتَاجُ النَّبَاتُ أَيْضًا إِلَى الشَّمْسِ؟

قَالَ عُمَرُ نَعَمْ يَا عَبَّاسُ فَالنَّبَاتُ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٍ يَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَ الهَوَاءِ وَ المَاءِ.

وَاسْتَمَرَّ عُمَرُ فِي حَدِيثِهِ « ثُمَّ يَغْرِسُ الفَسَائِلَ فِي صَفٍّ وَ يَتْرُكُ بَيْنَ نَسِيلَيْنِ فُسْحَةً تُجِيزُ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْ يَمْتَدَّ فِيهَا

وَلَا يُضَايِقَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَعَيْمُوهُ أَنْ تَكُونَ الْفَسَائِلُ أَسْرَابًا فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ وَإِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَزْهَارٍ فَلِأَزْهَارِهَا مِيعَادٌ وَاحِدٌ لِيَتِمَّ جَمَالُ كُلِّ صَفٍّ مِنْ صُفُوفِهَا.

وَلَا يَسْتَرِيحُ الْبُسْتَانِيُّ بَعْدَ ذٰلِكَ بَلْ يَسْهَرُ عَلَى هٰذِهِ الْفَسَائِلِ فَلَا يَزَالُ يَسْقِيهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقْلَعُ الْحَشَائِشَ وَيَعْزِقُ الْأَرْضَ حَوْلَهَا فَيَجْعَلُ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا.

هُنَا فَرَغَ الْبُسْتَانِيُّ مِنْ إِصْلَاحِ الْأَرْضِ وَذَهَبَ يَنْقُلُ فَسِيلَةً نَتْبَعُهُ عُمَرُ وَعَبَّاسٌ وَوَقَفَا بِجَانِبِهِ.

جِسْمُ النَّبَاتِ

(٢)

حَفَرَ الْبُسْتَانِيُّ الْأَرْضَ حَوْلَ الْفَسِيلِ بِاحْتِرَاسٍ كَأَنَّهُ يَخَافُ شَيْئًا فَسَأَلَ عَبَّاسٌ وَالِدَهُ عَنْ ذٰلِكَ وَقَالَ لِمَاذَا يَتَوَانَى الْبُسْتَانِيُّ فِي شُغْلِهِ

وَلَا يَتَحَمَّلُ ؟

قَالَ عُمَرُ هُوَ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْضَ الْجُذُورِ فَيَضُرَّ بِالْفَسِيلِ وَرُبَّمَا يَمُوتُ لِأَنَّ الْجُذُورَ لَازِمَةٌ لِلشَّجَرَةِ وَبِهَا حَيَاتُهَا.

قَالَ عَبَّاسٌ وَمَا فَائِدَةُ الْجُذُورِ وَمَا شُغْلُهَا حَتَّى لَا تَحْيَا الشَّجَرَةُ بِغَيْرِهَا.

قَالَ عُمَرُ اَلنَّبَاتُ إِنَّمَا يَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ بِالْجُذُورِ فَهِيَ الَّتِي تَمْتَصُّ الْغِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ وَتَبْحَثُ عَنْهُ أَلَا تَرَاهَا مُمْتَدَّةً مُتَشَعِّبَةً فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا جَوَاسِيسُ وَعُيُونٌ قَدْ إِنْبَثَّتْ بِعَمَلِهَا.

عَبَّاسٌ: وَمَا هِيَ الْأَجْزَاءُ اللَّازِمَةُ لِلنَّبَاتِ غَيْرُ الْجُذُورِ؟

قَالَ عُمَرُ مِنَ الْأَعْضَاءِ اللَّازِمَةِ لِلنَّبَاتِ أَلسَّاقُ وَهُوَ الْجُزْءُ الْبَارِزُ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الْفُرُوعَ وَالْأَوْرَاقَ وَيَسِيلُ فِيهِ غِذَاءُ الشَّجَرَةِ وَيَنْتَقِلُ إِلَى

أَجْزَائِهَا .

وَالآخَرُ اللَّازِمُ لِلنَّبَاتِ الأَوْرَاقُ وَبِهَا يَتَنَفَّسُ النَّبَاتُ وَيَأْخُذُ مِنَ الهَوَاءِ مَا يُصْلِحُ بِهِ حَيَاتَهُ .

وَهٰذِهِ الثَّلَاثَةُ الجُذُورُ وَالسَّاقُ وَالأَوْرَاقُ هِيَ أَعْضَاءُ النَّبَاتِ اللَّازِمَةُ لِحَيَاتِهِ وَنَمَائِهِ وَيَكْفِيكَ يَا عَبَّاسُ هٰذَا الدَّرْسُ الأَوَّلُ عَنِ النَّبَاتِ .

قَالَ عَبَّاسُ عَجَبًا يَا أَبِي مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ النَّبَاتَ جِسْمٌ حَيٌّ نَامٍ لَهُ تَرْكِيبٌ دَقِيقٌ .

قَالَ عُمَرُ وَكَذٰلِكَ كُلُّ شَيْءٍ فَإِذَا دَرَسْتَهُ كَكِتَابٍ تَعَجَّبْتَ مِنْ صُنْعِ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَعَرَفْتَ أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً لِلّٰهِ . وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَلِلّٰهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ
وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

أَلْبَبْغَاءُ

أَلِفْتُهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً

نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةْ

عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانُ

يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ

تُنْهِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا

وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا

بَكْمَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَهْ

تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَهْ

زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةْ

وَاسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةْ

ضَيْفٌ قِرَاهُ الْجَوْزُ وَالْأَرُزُّ

وَالضَّيْفُ فِي إِتْيَانِهِ يُعَزُّ

تَرَاهُ فِي مِنْقَارِهِ الرَّقِيقِ

كَلُؤْلُؤٍ يَلْقُطُ بِالْعَقِيقِ

تَنْظُرُ مِنْ طَرْفَيْنِ كَالْفَصَّيْنِ

فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ بَصَّاصَيْنِ

فَرِيدَةٌ خُدُودُهَا الْأَقْفَاصُ
لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
تَحْبِسُهَا وَ مَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ
وَ إِنَّمَا ذَالِكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ

(ابو اسحٰق الصابی)

أَلْحَجَّاجُ وَالْفِتْيَةُ

أَمَرَ الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ لَيْلاً فَمَنْ رَآهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ سَكْرَانَ ضَرَبَ عُنُقَهُ فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِيْ فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ يَتَمَايَلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْغِلْمَانُ وَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الْحَرَسِ.

مَنْ أَنْتُمْ حَتّٰى خَالَفْتُمْ أَمْرَ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَخَرَجْتُمْ فِيْ مِثْلِ هٰذَا الْوَقْتِ فَقَالَ أَحَدُهُمْ.

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ
مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَ هَاشِمِهَا

كَانَتْ بِالرَّىِّ عِنْدَ عَمْرٍو وَهِيَ مِنَّا غِيرَةٌ
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.
ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ؟ فَقَالَ:
أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ
وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ لَعَلَّهُ مِنْ أَشْرَفِ
الْعَرَبِ.
ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ؟
فَأَنْشَدَ قَائِلًا.
أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ
وَقَوَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ
رِكَابَاهُ لَا تَنْفَكُّ رِجْلَاهُ مِنْهُمَا
إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرِيهَةِ وَلَّتِ

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ لَعَلَّهُ إِبْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَاحْتَفَظَ بِهِمْ.

فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى الأَمِيْرِ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ مِنْ حَالِهِمْ فَإِذَا الأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ وَالثَّانِي ابْنُ خُضَرِيٍّ وَالثَّالِثُ إِبْنُ حَائِكٍ فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِجُلَسَائِهِ عَلِّمُوْا أَوْلَادَكُمُ الأَدَبَ فَوَاللّٰهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ.

أَنَا تُرَابٌ

أَنَا تُرَابٌ حَقِيْرٌ يَطَأُنِي النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ وَنِعَالِهِمْ وَيَضْرِبُوْنَنِي مِثْلَ فِي الحِجَارَةِ وَالدِّلِّ.

أَلنَّاسُ يَنْتَفِعُوْنَ بِيْ فِيْ كُلِّ سَاعَةٍ وَفِيْ كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ ثُمَّ يَحْتَقِرُوْنَنِيْ وَيَهْجُوْنَنِيْ كَالشَّعِيْرِ يُؤْكَلُ وَيُذَمُّ.

فَفِيْ مَنَاكِبِي يَمْشِي النَّاسُ وَعَلَى ظَهْرِيْ

يَبْنُونَ بُيُوتًا وَمَبَانِيَ عَظِيمَةً وَمِنْ بَطْنِي تَخْرُجُ لِلنَّاسِ حُبُوبٌ يَأْكُلُهَا النَّاسُ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونُ وَالرُّمَّانُ وَالنَّخْلُ وَالزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ .

وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ ذٰلِكَ الْقُطْنُ الَّذِي بِهِ لِبَاسُكُمْ وَكِسْوَتُكُمْ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ وَسَرَابِيلُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ.

وَفِي لِبَاسِ الْحَرِيرِ أَيْضًا يَرْجِعُ إِلَيَّ الْفَضْلُ فَإِنَّ دُودَةَ الْقَزِّ تَتَغَذَّى مِنْ وَرَقِ التُّوتِ وَمِنِّي تَتَغَذَّى شَجَرَةُ التُّوتِ وَعَلَيَّ تَنْمُو تَعِيشُ .

وَعَلَى ظَهْرِي تَحْفِرُونَ الْبِئْرَ الَّتِي تَشْرَبُونَ مَاءَهَا ، وَعَلَى ظَهْرِي تَجْرِي الْأَنْهَارُ الَّتِي تَسْقِيكُمْ وَتَسْقِي زُرُوعَكُمْ .

وَمِنَ الطِّينِ يَبْنِي الْفَخَّارُ الْأَوَانِيَ ـ ظُرُوفَ الَّتِي تَأْكُلُونَ فِيهَا وَتَشْرَبُونَ وَاللُّعَبَ وَالدُّمَى الَّتِي يَلْعَبُ بِهَا الْأَطْفَالُ .

وَهَلْ تُصَدِّقُونَ إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنَّ مَادَّةَ هٰذَا الْكِتَابِ الَّذِي تَقْرَأُونَهُ وَمَادَّةَ كُلِّ كِتَابٍ وَصَحِيفَةٍ فَإِنَّ مَادَّةَ الْوَرَقِ الْحَشِيشُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ فَلِي مِنَّةٌ عَلَى كُلِّ عَالِمٍ وَطَالِبٍ وَلِي مِنَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ مِنَّةُ الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنُّحَاسُ وَالْحَدِيدُ الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَالزَّيْتُ الَّذِي يُضِيءُ وَالْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ الْقَاطِرَةُ وَالْبِتْرُولُ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ السَّيَّارَاتُ وَالطَّائِرَاتُ.

إِنَّكُمْ تُفْسِدُونَ أَطْيَبَ الْأَشْيَاءِ فَكُلُّ مَا تَلَبَّسَ بِكُمْ فَسَدَتْ رَائِحَتُهُ وَذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ وَأَنَا أُعِيدُهُ غَضًّا طَرِيًّا، وَبِهٰذَا السَّمَادِ الَّذِي تُلْقُونَهُ فِي الْحُقُولِ وَالْفَسَاتِلِ أُنْبِتُ لَكُمْ حَبًّا صَحِيحًا وَفَاكِهَةً لَذِيذَةً وَزُهُورًا جَمِيلَةً.

أَنَا أَمِينُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ أَنَا مَرْقَدُ الشُّهَدَاءِ أَنَا مُسْتَوْدَعُ الْأَوْلِيَاءِ أَنَا مَضْجَعُ الْعُلَمَاءِ

وَالصُّلَحَاءِ، أَنَا مِدَادٌ مِنَ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ، فَلَا تَمْشُوا عَلَيَّ مَرَحًا وَاذْكُرُوا قَوْلَ صَاحِبِكُمْ.

خَفِّفِ الْوَطْأَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ
الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هٰذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبِيحٌ بِنَا وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ
هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
سِرْ إِنِ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُوَيْدًا
لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ

اَلسُّلْطَانُ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَجَرَاتِيُّ

اَلسُّلْطَانُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِدُ أَبُو النَّعِيمِ سَيْفُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَجَرَاتِيُّ كَانَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِينِ وُلِدَ بِكَجَرَاتَ فِي عَاشِرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٨٤٩ وَقَامَ بِالْمُلْكِ بَعْدَ دَاوُدَ شَاه سَنَه ٨٦٢ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا.

إِسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً وَجَاهَدَ فِي اللّٰهِ حَقَّ الْجِهَادِ وَوَسَّعَ حُدُودَ مُلْكِهِ إِلَى مَالْوَةَ

وَإِلَى بِلَادِ السِّنْدِ وَلَكِنَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ لَمْ يَطْمَعْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا وَإِذَا اسْتَوْلَى الْقَوِيُّ مِنْهُمْ عَلَى الضَّعِيفِ قَامَ بِنُصْرَةِ الضَّعِيفِ وَكَانَ قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَتَقَلَّدُ أَمْرَ الشَّرْعِ فِي السِّيَاسَةِ وَيُمْضِي حُكْمَ الْقِصَاصِ وَلَا يَمْنَعُ كَوْنُ أَحَدٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُلْكِ الْخَاصَّةِ بِهِ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ.

وَمِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَعْمِيرِ الْبِلَادِ وَتَأْسِيسِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَدَارِسِ وَالزَّوَايَا وَتَكْثِيرِ الزِّرَاعَةِ وَغَرْسِ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ وَبِنَاءِ الْحَدَائِقِ وَالْبَسَاتِينِ وَتَحْرِيضُ النَّاسِ عَلَى ذٰلِكَ وَإِعَانَتُهُمْ بِحَفْرِ الْآبَارِ وَإِجْرَاءِ الْعُيُونِ وَلِذٰلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِقْبَالًا كُلِّيًّا وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْبَنَّاؤُونَ وَالْمُهَنْدِسُونَ وَأَهْلُ الْحِرَفِ وَالصَّنَائِعِ مِنْ بِلَادِ الْعَجَمِ فَقَامُوا بِحِرَفِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ فَصَارَتْ كُجْرَاتُ رِيَاضًا مُخْضَرَّةً بِكَثْرَةِ الْحِيَاضِ وَالْآبَارِ وَالْحَدَائِقِ

وَالزُّرُوعِ وَالْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ وَصَارَتْ بِلَادُ كُجْرَاتَ مَتْجَرَةً تَجْلَبُ مِنْهَا الثِّيَابُ الرَّفِيعَةُ إِلَى بِلَادٍ أُخْرَى وَذٰلِكَ كُلُّهُ بِمَيْلِ سُلْطَانِهَا مَحْمُودْ شَاهْ إِلَى مَا يَعْتَنِيهِ بِهِ الْمُلْكُ وَالدَّوْلَةُ وَيَتَرَفَّهُ بِهِ رَعَايَاهُ.

وَمِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِمَا كَانَ مَجْبُولًا عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ فَاجْتَمَعَ فِي حَضْرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَفَاضِلِ الْعَرَبِ حَتَّى صَارَتْ بِلَادُ كُجْرَاتَ عَامِرَةً آهِلَةً بِالْعُلَمَاءِ وَوَفَدَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فَتَشَابَهَتْ كُجْرَاتُ بِالْيَمَنِ الْمَيْمُونِ وَكَانَتْ سَابِقَ بِلَادِ الْهِنْدِ فِي ذٰلِكَ.

وَكَانَ غَايَةً فِي الْعِفَّةِ وَالْحَيَاءِ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ عَظِيمَ الْهَيْبَةِ كَرِيمَ الطَّبِيعَةِ شَرِيفَ النَّفْسِ كَثِيرَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ أَطَالَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي مَنَاقِبِهِ وَفَضَائِلِهِ.

فِي سَنَةِ ٩١٤ تَوَجَّهَ إِلَى نَهْرِوَالَه پَتَنْ وَزَارَ أَئِمَّةَ الدِّيْنِ بِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَعَقَدَ مَجْلِسًا خَاصًّا لِمُذَاكَرَةِ التَّفْسِيْرِ وَالْحَدِيْثِ وَأَكْثَرَ مِنَ الْجَوَائِزِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْوَظَائِفِ وَالْتَمَسَ الدُّعَاءَ وَكَانَ أَنْشَأَ مَضْجَعَهُ فِي جِوَارِ قَبْرِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ فِي سَرْكِهِيجَ يَتَعَهَّدُهُ أَحْيَانًا وَقَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ فَتَحَ الْقَبْرَ وَجَلَسَ فِيْهِ وَقَالَ أَللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذَا أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَسَهِّلْهُ وَاجْعَلْهُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ثُمَّ مَلَأَهُ فِضَّةً وَتَصَدَّقَ بِهَا.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَصْرَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٩١٧ وَلَهُ إِحْدٰى وَتِسْعُوْنَ سَنَةً وَمُدَّةُ سَلْطَنَتِهِ خَمْسٌ وَخَمْسُوْنَ سَنَةً.

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)

أَلْبَاخِرَةُ (١)

كَانَ النَّاسُ فِي قَدِيْمِ الزَّمَانِ يُسَافِرُوْنَ

مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ عَلَى الإِبِلِ وَالبِغَالِ وَعَجَلَاتِ الخَيْلِ وَعَجَلَاتِ الثِّيرَانِ نَرَاهَا غَادِيَةً رَائِحَةً عَلَى الطُّرُقَاتِ وَالشَّوَارِعِ تَحْمِلُ الرُّكَّابَ وَالبَضَائِعَ.

وَكَانَ النَّاسُ يَخَافُونَ السَّفَرَ فِي البِحَارِ وَيَتَحَامُونَهُ وَلَكِنْ أَلْجَأَتْهُمُ الضَّرُورَةُ إِلَى السَّفَرِ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الأَثْقَالَ العَظِيمَةَ وَلَا يُكَلِّفُ نَفَقَةً فَوَصَلُوا الأَنْهَارَ وَالبُحَيْرَاتِ بِالتُّرَعِ وَصَارُوا يُسَافِرُونَ فِيهَا عَلَى السُّفُنِ الشِّرَاعِيَّةِ وَيَنْقُلُونَ بَضَائِعَهُمُ التِّجَارِيَّةَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ.

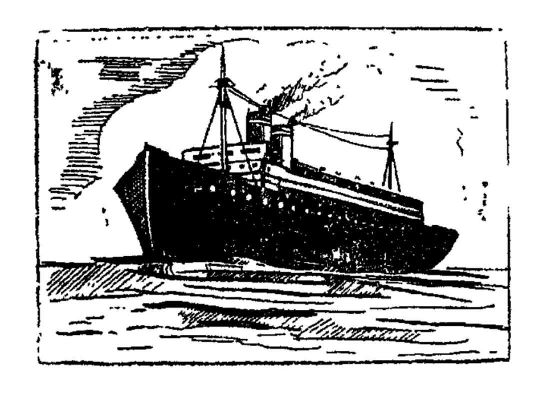
وَكَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ الشِّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَكَانَتْ هٰذِهِ السُّفُنُ تَحْتَ حُكْمِ الرِّيَاحِ فَإِنْ وَافَقَتْ وَصَلَتِ السَّفِينَةُ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ وَإِنْ عَارَضَتْ وَقَفَتْ أَسَابِيعَ وَشُهُورًا وَإِنْ عَانَدَتْ صَدَمَتْهَا بِصَخْرَةٍ تَكْسِرُهَا أَوْ تَكْلِبُهَا وَهَلَكَ الرُّكَّابُ وَغَرِقَتْ

الْبَضَائِعُ وَكَانَ هٰذَا يَقَعُ كَثِيْرًا حَتّٰى ذَهَبَ مَثَلًا وَقَالَ الشَّاعِرُ:

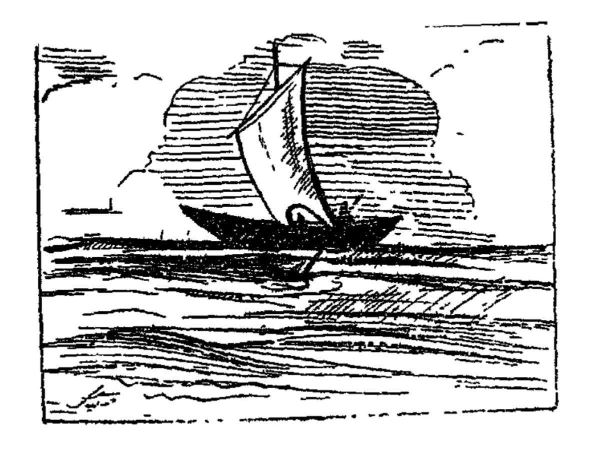
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ
تَجْرِى الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِى السُّفُنُ

وَكَانَ السَّفَرُ خَطِرًا لَا يَدْرِى الْإِنْسَانُ أَ يَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ أَمْ يَمُوْتُ فِي الطَّرِيْقِ نَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ فِيْ سَفِيْنَةٍ شِرَاعِيَّةٍ أَوْصٰى أَقَارِبَهُ وَأَصْدِقَائَهُ بِدُيُوْنِهِ وَبِمَا عَلَيْهِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُوْلَ إِنَّهُ يَصِلُ فِيْ شَهْرٍ أَوْ فِيْ عَامٍ فَإِنَّهُ يُسَافِرُ فِيْ ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ وَكَانَ دُوْدًا عَلٰى عُوْدٍ لَا يَدْرِى أَ يَمُوْتُ فِي الطَّرِيْقِ أَمْ يَصِلُ سَالِمًا وَ يَعُوْدُ.

وَكَانَ النَّاسُ رَغْمَ ذٰلِكَ كُلِّهِ يُخَاطِرُوْنَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ. يُسَافِرُوْنَ لِلْحَجِّ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ وَلَا يَمْنَعُهُمْ خَطَرٌ أَوْ خَوْفٌ مِنَ السَّفَرِ إِلٰى بَيْتِ اللّٰهِ وَأَدَاءِ فَرِيْضَةِ الْحَجِّ فَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنَ الْهِنْدِ وَالصِّيْنِ وَجَزَائِرِ بَحْرِ الْهِنْدِ وَكَذٰلِكَ



الباخرة



٢ السفينة الشراعية

مِنْ مَرَّاكِشَ وَبِلَادِ الْأَنْدَلُسِ يُسَافِرُوْنَ كُلَّ عَامٍ لِلْحَجِّ وَقَدْ يَسْتَغْرِقُ سَفَرُهُمْ عَامًا كَامِلًا أَوْ أَكْثَرَ .

وَكَانَ الْجَوَّابُوْنَ مِنْهُمْ يَسِيْحُوْنَ فِي الْأَرْضِ وَيَرْكَبُوْنَ الْبَحْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصٰى إِلَى الْمَشْرِقِ الْأَقْصٰى وَكَانَ الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ كَبَيْتٍ وَاحِدٍ وَالْمُسْلِمُوْنَ كَأُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ يَنَالُ الْجَوَّابُ فِي السَّفَرِ كُلَّ مَا يَجِدُهُ فِي الْوَطَنِ .

أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيْرَانًا بِجِيْرَانِ

وَقَدْ سَافَرَ ابْنُ بَطُّوْطَةَ الْمَغْرِبِيُّ وَابْنُ جُبَيْرٍ الْأَنْدَلُسِيُّ وَسُلَيْمَانُ التَّاجِرُ إِلٰى مُعْظَمِ الْمَعْمُوْرَةِ بِهٰذِهِ السُّفُنِ .

اَلْبَاخِرَةُ (٢)

مَضٰى عَلٰى ذٰلِكَ قُرُوْنٌ ثُمَّ بَدَءَ النَّاسُ يُفَكِّرُوْنَ وَيَخْتَرِعُوْنَ حَتّٰى تَوَصَّلُوْا إِلٰى سَفِيْنَةٍ تَسِيْرُ بِالْبُخَارِ وَكَانَ ذٰلِكَ بِالتَّدْرِيْجِ وَفِيْ

عِدَّةِ قُرُونٍ .

كَانَتِ السُّفُنُ الشِّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ بِالمَجَادِيفِ وَتَقَدَّمَ بَعْضُ الأَذْكِيَاءِ فَرَكَّبَ فِي سَفِينَةٍ عَجَلَةً رَبَطَ بِهَا المَجَادِيفَ فَإِذَا دَارَتِ العَجَلَةُ بَدَأَتِ المَجَادِيفُ تَعْمَلُ وَتَمْخَرُ المَاءَ .

ثُمَّ اهْتَدَى بَعْضُ الأَذْكِيَاءِ إِلَى إِدَارَةِ العَجَلَةِ بِالبُخَارِ وَالاِسْتِغْنَاءِ عَنِ اليَدِ العَامِلَةِ وَلَمْ تَزَلِ الصِّنَاعَةُ تَرْتَقِي حَتَّى ظَهَرَتْ أَوَّلُ سَفِينَةٍ بُخَارِيَّةٍ صَنَعَهَا رَجُلٌ أَمْرِيكِيٌّ اسْمُهُ «فِلْتَنْ كِلِرْمَانْت» قَطَعَتْ مِائَةَ أَمْيَالٍ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً .

وَلَمْ تَزَلِ السُّفُنُ البُخَارِيَّةُ تَتَقَدَّمُ فِي السُّرْعَةِ وَالقُوَّةِ حَتَّى أَصْبَحَتْ تَعْبُرُ البَحْرَ الأَطْلَنْطِيكِيَّ بَيْنَ إِنْكِلْتَرَةَ وَأَمْرِيكَةَ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ وَكَانَ السَّفَرُ فِي هٰذَا البَحْرِ يَأْخُذُ شَهْرَيْنِ .

وَالبَاخِرَةُ كَالقَاطِرَةِ تَسِيرُ بِقُوَّةِ البُخَارِ فَإِنَّهُ يُدِيرُ العَجَلَةَ وَالعَجَلَةُ مُتَّصِلَةٌ بِآلَاتٍ

تَتَحَرَّكُ الْبَاخِرَةُ بِدَوَرَانِهَا وَتَسِيرُ.

وَكَذَلِكَ هُنَالِكَ آلَاتٌ تُوَجِّهُ الْبَاخِرَةَ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ وَتُسَخِّرُهَا لِلرُّبَّانِ يَسِيرُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَقَدْ تَقَدَّمَتِ التِّجَارَةُ تَقَدُّمًا عَظِيمًا وَأَصْبَحَ النَّاسُ يُسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ عَلَى مَتْنِ الْبُخَارِ كَأَنَّهُمْ يُسَافِرُونَ فِي الْبَرِّ عَلَى الْقِطَارِ أَوْ مُطْمَئِنُّونَ فِي الْبَلَدِ وَجَالِسُونَ فِي الدَّارِ.

وَكَبُرَتِ الْمَرَاكِبُ وَتَوَسَّعَتْ حَتَّى كَأَنَّهَا حَارَةٌ مِنْ حَارَاتِ الْبَلَدِ أَوْ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا الْمَطْعَمُ وَالْمَلْعَبُ مُتَنَزَّهَاتٌ وَتَحْمِلُ مِنَ الرُّكَّابِ مِنْ خَمْسِ مِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ.

وَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ السُّفُنَ الشِّرَاعِيَّةَ وَالْمَرَاكِبَ الْبُخَارِيَّةَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ رُخَاءً تَعَجَّبَ وَرَأَى تَصْدِيقَ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝».

جِسْمُ الطُّيُورِ

إِنَّ اللهَ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ جِسْمًا
لَائِقًا وَأَعْضَاءً يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ
وَتَحْصِيلِ قُوتِهِ وَسِلَاحًا يُدَافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ
فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى .

أُنْظُرُوا إِلَى الْفِيلِ كَيْفَ مَدَّ اللهُ فِي أَنْفِهِ
لِيَسْتَخْدِمَهُ فِي حَوَائِجِهِ وَيَتَنَاوَلَ بِهِ الطَّعَامَ
وَالْمَاءَ وَيُوَجِّهَهُ حَيْثُ شَاءَ وَفِي طَرَفِهِ
زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ وَقَدْ
قَرَأْتُمْ أَنَّ الْجَمَلَ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةٌ لِأَنَّهُ كَبِيرُ
الْجِسْمِ طَوِيلُ الْأَرْجُلِ فَلَوْ كَانَتْ رَقَبَتُهُ
قَصِيرَةً لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَأَ مِنَ الْأَرْضِ
حَتَّى يَبْرُكَ وَفِي ذٰلِكَ تَعَبٌ عَظِيمٌ وَشُغْلٌ كَثِيرٌ
فَمَدَّ اللهُ فِي عُنُقِهِ وَرَاسُهُ صَغِيرٌ فَكَانَ خَفِيفَ
الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ وَلَمَّا قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ
الْجَمَلُ سَفِينَةَ الصَّحْرَاءِ جَعَلَ أَرْجُلَهَا مُنَاسِبَةً

لِذٰلِكَ لَا تَسُوخُ فِي الرِّمَالِ وَخَلَقَ فِي جَوْفِهِ
كُرُوشًا وَأَرْفَاقًا يَخْزُنُ فِيهَا الغِذَاءَ وَالمَاءَ
لِأَنَّ السَّفَرَ فِي الصَّحْرَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى ذٰلِكَ كَثِيرًا

أُنْظُرُوا إِلَى الْقُنْغُرِ وَالأَرْنَبِ تَرَوْا رِجْلَيْهِمَا
الْخَلْفِيَّتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ وَكَبِيرَتَيْنِ وَرِجْلَيْهِمَا الأَمَامِيَّتَيْنِ
صَغِيرَتَيْنِ وَقَصِيرَتَيْنِ لِيُمَكِّنَهُمَا الْجَرْيُ قَفْزًا وَفِي
قَدَمَيِ الرِّجْلَيْنِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ لِلْقُنْغُرِ ظِلْفٌ حَادٌّ
جِدًّا هُوَ سِلَاحُهُ يَبْقُرُ بِهِ بَطْنَ عَدُوِّهِ بِطَعْنَةٍ
وَاحِدَةٍ .

كَذٰلِكَ الطُّيُورُ فَفِي جِسْمِهَا وَخِلْقَتِهَا آيَاتٌ
لِلّٰهِ فَقَدْ كَسَا اللّٰهُ جِسْمَهَا بِالرِّيشِ لِأَنَّهُ أَخَفُّ
لِلطَّيَرَانِ وَجَعَلَ عِظَامَ الطَّائِرِ رَقِيقَةً جَوْفَاءَ
فَلَا يَعُوقُهُ ثِقَلُ رِيشٍ أَوْ جِسْمٍ عَنِ الطَّيَرَانِ .

ثُمَّ وَهَبَ أَنْوَاعَ الطُّيُورِ أَنْوَاعًا مِنَ ا[illegible]
تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ طَبِيعَةِ الطَّيْرِ وَغِذَائِهِ وَعَادَتِهِ
وَكَذٰلِكَ يَخْتَلِفُ تَرْكِيبُ أَقْدَامِهِ .

أُنْظُرْ إِلَى الْعَصَافِيرِ وَالْحَمَامِ وَالنَّعَامِ

وَالْغِرْبَانِ لَيْسَتْ أَجْسَامُهَا عَالِيَةً وَأَنَّهَا تَلْتَقِطُ حَبًّا صَغِيرًا مِنَ الْأَرْضِ فَلَمْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى طُولِ الْأَعْنَاقِ وَمَنَاقِيرُهَا مُسْتَقِيمَةٌ وَقَصِيرَةٌ تُعِينُهَا فِي حَاجَاتِهَا.

أُنْظُرْ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ وَتَبْحَثُ عَنْ قُوتِهَا فِي الْمَاءِ كَالْبَطِّ وَاللَّقْلَقِ تَرَ أَعْنَاقَهَا وَمَنَاقِيرَهَا طَوِيلَةً لِأَنَّهَا تُرْسِلُ مَنَاقِيرَهَا فِي أَعْمَاقِ الْأَنْهَارِ وَالْبِرَاكِ وَتَسْتَخْرِجُ قُوتَهَا مِنْ أَحْشَائِهَا فَخَلَقَ اللهُ لَهَا أَعْنَاقًا طَوِيلَةً وَمَنَاقِيرَ مُسْتَقِيمَةً وَطَوِيلَةً كَذَلِكَ.

وَانْظُرْ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَتَأْكُلُهَا نَهْشًا كَالْحِدَاءِ وَالنُّسُورِ وَالْحَمَامِ، لَا تَجِدُ مَنَاقِيرَهَا مُسْتَقِيمَةً لِأَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهَا وَلَا تَقْضِي حَاجَتَهَا فَخَلَقَ اللهُ لَهَا مَنَاقِيرَ مُتَقَوِّسَةً حَادَّةَ الطَّرَفِ وَيَكُونُ طَرَفُهَا الْأَعْلَى مُتَقَدِّمًا مُتَقَوِّسًا يُعِينُهَا فِي نَهْشِ اللُّحُومِ وَفِي قَرْضِ الْفَوَاكِهِ وَفِي الْعَضِّ عَلَيْهَا.

كَذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَرْجُلِ الطُّيُورِ وَمَخَالِبِهَا رَأَيْنَا بَيْنَهَا فَرْقًا بِحَسَبِ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ وَطَبَائِعِهَا وَعَادَاتِهَا وَغِذَائِهَا فَالطُّيُورُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الْبَرِّ وَتَلْتَقِطُ الْحَبَّ لَيْسَتْ أَرْجُلُهَا طَوِيلَةً وَأَنَّهَا تَرْفَعُ رِجْلَيْهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ وَتَمْشِي وَثْبًا وَأَمَّا الطُّيُورُ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ وَتَصِيدُ السَّمَكَ وَهَوَامَّ الْمَاءِ فَإِنَّهَا تُقَدِّمُ رِجْلًا فِي الْمَشْيِ وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى كَالْإِنْسَانِ وَتَمْشِي رُوَيْدًا فَإِنَّهَا إِذَا وَثَبَتْ وَثَبَاتٍ أَوْ نَفَرَتْ أَفْلَتَهَا الصَّيْدُ.

كَذَلِكَ الطُّيُورُ الَّتِي تَسْبَحُ فِي الْمَاءِ وَتَصِيدُهُ فَلَهَا جِلْدٌ رَقِيقٌ فِي مَخَالِبِهَا يَصِلُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا فَتَنْتَشِرُ مَخَالِبُهَا كَالْمِظَلَّاتِ إِذَا نُشِرَتْ وَتُسَاعِدُهَا فِي السِّبَاحَةِ مُسَاعَدَةً غَالِيَةً.

وَالطُّيُورُ الَّتِي تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ لَهَا أَرْجُلٌ قَوِيَّةٌ وَمَخَالِبُ كَبِيرَةٌ وَفِي أَصَابِعِهَا أَظْفَارٌ مُتَقَوِّسَةٌ حَادَّةُ الْأَطْرَافِ تُسَاعِدُهَا فِي نَهْشِ اللُّحُومِ

وَتَقُوْمُ أَرْجُلُهَا وَ مَخَالِبُهَا مَقَامَ الْأَرْجُلِ وَالْأَيْدِيْ فَإِذَا مَشَتْ كَانَتْ لَهَا أَرْجُلاً تَمْشِيْ بِهَا وَ إِذَا طَارَتْ أَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ كَانَتْ لَهَا أَيْدِيْ تَبْطِشُ بِهَا ، وَ هٰذَا النَّوْعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ يُمْسِكُ عُوْدًا أَوْ قِطْعَةَ لَحْمٍ وَ يَطِيْرُ فِي الْجَوِّ وَ يَسْتَقِلُّ بِهٖ فَلَا يَسْقُطُ مِنْ يَدِهٖ وَكَثِيْراً مَا رَأَيْنَا الْبَازِيَ قَدْ قَبَضَ عَلٰى طَائِرٍ كَبِيْرٍ بِمَخَالِبِهٖ وَطَارَ بِهٖ إِلٰى عُشِّهٖ وَ أَكَلَهٗ هُنَالِكَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا .

شِيْرُشَاهِ السُّوْرِيُّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ(١)

كَانَ شِيْرُشَاهُ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِيْنِ عَادِلاً بَاذِلاً رَحِيْماً شُجَاعًا مِقْدَامًا وَكَانَ أَبُوْهُ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ وَكَانَ شِيْرُشَاهُ يَتَعَلَّمُ فِيْ جَوْنْبُوْر وَيَقْرَأُ الْكُتُبَ الدِّرَاسِيَّةَ وَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ وَ يَرْتَقِيْ حَتّٰى نَالَ الْمُلْكَ .

وَكَانَ وَزَّعَ أَوْقَاتَهٗ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ شَطْراً مِنْهَا لِلْعِبَادَةِ وَشَطْراً لِلْعَدْلِ وَ الْقَضَاءِ وَ بَعْضَهَا لِإِصْلَاحِ

العَسَاكِرِ فَكَانَ يَنْتَبِهُ مِنَ النَّوْمِ فِيْ ثُلُثِ اللَّيْلِ
الآخِرِ وَ يَغْتَسِلُ وَ يَتَهَجَّدُ وَ يَشْتَغِلُ بِالأَوْرَادِ
إِلَى أَرْبَعِ سَاعَاتٍ ثُمَّ يَنْظُرُ فِيْ حِسَابَاتِ الإِدَارَاتِ
المُخْتَلِفَةِ وَ يُرْشِدُ الأُمَرَاءَ فِيْ مَا يُهِمُّهُمْ مِنَ
الأُمُوْرِ فِيْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَ يَهْدِيْهِمْ إِلَى بَرْنَامِجِ
العَمَلِ لِئَلَّا يَتَشَوَّشُوْا أَوْقَاتَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِالأَسْئِلَةِ
ثُمَّ يَقُوْمُ وَ يَتَوَضَّأُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ وَ يُصَلِّيْهَا
بِالْجَمَاعَةِ ثُمَّ يَقْرَأُ المُسَبَّعَاتِ الْعَشْرَ وَ غَيْرَهَا
مِنَ الأَوْرَادِ ثُمَّ يَحْضُرُ لَدَيْهِ الأُمَرَاءُ فَيُسَلِّمُوْنَ
عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُوْمُ وَ يُصَلِّيْ صَلَاةَ الإِشْرَاقِ ثُمَّ
يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَ يُعْطِيْهِمْ مَا يَحْتَاجُوْنَ
إِلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ أَقْطَاعٍ وَ أَمْوَالٍ وَ غَيْرِ ذٰلِكَ لِئَلَّا
يَسْأَلُوْهُ فِيْ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَوْقَاتِ ثُمَّ يَتَوَجَّهُ إِلَى
المَظْلُوْمِيْنَ وَ الْمُسْتَغِيْثِيْنَ وَ يَجْتَهِدُ فِيْ إِغَاثَتِهِمْ.
وَ مِنْ عَوَائِدِهِ بَعْدَ الإِشْرَاقِ أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ
أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ العَسَاكِرُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ
ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيْدُ أَنْ يَثْبُتَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ

فَيَتَكَلَّمُ مَعَهُ وَ يُخَاطِبُهُ ثُمَّ يَأْمُرُ أَنْ يُثْبِتَ اسْمَهُ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْجِبَايَاتُ الَّتِي تُورَدُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ كُلَّ يَوْمٍ ثُمَّ يَتَمَثَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَالْمَرَازِبَةُ وَ سُفَرَاءُ الدُّوَلِ وَالْوُكَلَاءُ فَيَتَحَادَثُ مَعَهُمْ ثُمَّ تُعْرَضُ عَلَيْهِ عَرَائِضُ الْأُمَرَاءِ وَالْعُمَّالِ فَيَسْمَعُهَا وَ يُمْلِي جَوَابَهَا ثُمَّ يَقُومُ وَ يُقْبِلُ إِلَى الطَّعَامِ وَ عَلَى مَائِدَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَ الْمَشَائِخِ ثُمَّ يَشْتَغِلُ نَحْوَ سَاعَتَيْنِ بِأُمُورٍ خُصُوصِيَّةٍ وَ يَقِيلُ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ ثُمَّ يَقُومُ وَ يُصَلِّي بِجَمَاعَةٍ وَ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ثُمَّ بِمُهِمَّاتِ الْأُمُورِ لِلدَّوْلَةِ وَكَانَ لَا يَتْرُكُ شَيْئًا مِنْ ذَالِكَ فِي ظَعْنٍ وَلَا إِقَامَةٍ وَكَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ الْكَبِيرُ مَنْ يَصْرِفُ أَوْقَاتَهُ فِي الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ.

وَكَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمُهِمَّاتِ وَ يُبَاشِرُ الْأُمُورَ بِنَفْسِهِ وَ يَقُولُ لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْأَمْرِ أَنْ يَسْتَصْغِرَ مَا يُهِمُّهُ مِنَ الْأُمُورِ نَظَرًا إِلَى عُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ فَيَكِلُهَا

عَلٰى مَنْ حَوْلَهُ مِنْ رِجَالِهٖ لِأَنَّهُمْ لَا يَجْنُبُوْنَ فِيْهَا وَ رُبَّمَا يَتَغَافَلُوْنَ عَنْهَا طَمَعًا وَ إِرْتِشَاءً.

وَ كَانَ يُعَاقِبُ الْبُغَاةَ وَ قُطَّاعَ السُّبُلِ وَالظَّلَمَةَ أَشَدَّ عُقُوْبَةٍ وَيُعَزِّرُهُمْ أَشَدَّ تَعْزِيْرٍ وَكَانَ لَا تَأْخُذُهُ بِهِمْ رَأْفَةٌ وَإِنْ كَانُوْا مِنْ أَصْهَارِهٖ وَأَقْرِبَائِهٖ.

شِيْرُشَاهِ السُّوْرِيُّ سُلْطَانِ الْهِنْدِ (٢)

وَمِنْ مَآثِرِهٖ أَنَّهُ أَسَّسَ شَارِعًا كَبِيْرًا مِنْ سنار گاؤن أَقْصٰى بِلَادِ بَنْگَالَه إِلٰى مَاءِ نِيْلَاب مِنْ أَرْضِ السِّنْدِ مَسَافَتُهَا أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ كُرُوْهٍ، وَالْكُرُوْهُ فِيْ عُرْفِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيْلَانِ وَ أَسَّسَ فِيْ كُلِّ كُرُوْهٍ رِبَاطًا وَرَتَّبَ بِهٖ طَعَامًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً وَ لِلْهُنَادِلَةِ خَاصَّةً وَ أَسَّسَ مَسْجِدًا فِيْ كُلِّ كُرُوْهٍ مِنَ الْآجُرِّ وَالْجَصِّ وَ وَظَّفَ الْمُؤَذِّنَ وَالْمُقْرِئَ وَالْإِمَامَ فِيْ كُلِّ مَسْجِدٍ وَعَيَّنَ فِيْ كُلِّ رِبَاطٍ تَرَسَيْنِ لِلْبَرِيْدِ فَكَانَ يُرْفَعُ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نِيْلَابَ إِلٰى أَقْصٰى بِلَادِ بَنْگَالَه كُلَّ يَوْمٍ وَغَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ بِجَانِبَيِ الشَّارِعِ الْكَبِيْرِ فَيَسْتَظِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُ وَيَأْكُلُ مِنْهَا۔

وَكَذٰلِكَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُثْمِرَةَ عَلَى الطَّرِيقِ مِنْ آكْرَةَ إِلَى مند وَبَيْنَهُمَا مَسَافَةُ ثَلَاثِمِائَةِ كُرُوْهٍ وَأَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ وَالْمَسَاجِدَ وَبَلَغَ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ فِي عَهْدِهِ مَبْلَغًا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَّمُدَّ يَدَهُ فِي الصَّحْرَاءِ إِلَى عَجُوزٍ تَحْمِلُ مَتَاعَهَا.

وَكَانَ شِيرْشَاه يَتَأَسَّفُ عَلَى أَنَّهُ نَالَ السَّلْطَنَةَ فِي كِبَرِ سِنِّهِ وَيَقُولُ إِنْ سَاعَدَنِي الزَّمَانُ أَبْعَثُ رِسَالَةً إِلَى عَظِيمِ الرُّوْمِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَّرْكَبَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى بِلَادِ الْفُرْسِ وَنَحْنُ نَرْكَبُ مِنْ هٰهُنَا إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ فَنَدْفَعُ بِمُسَاعَدَةِ مَلِكِ الرُّوْمِ شَرَّ الْأَوْبَاشِ الَّذِيْنَ يَقْطَعُوْنَ طَرِيْقَ الْحُجَّاجِ وَنُحْدِثُ شَارِعًا آمِنًا إِلَى مَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ وَلٰكِنَّ الْأَجَلَ لَمْ يُمْهِلْهُ فَمَاتَ قَبْلَ بُلُوْغِهِ إِلَى تِلْكَ الْأُمْنِيَّةِ وَكَانَ ذٰلِكَ فِي ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٩٥٢هـ

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)

شرح الكلمات المستحدثة

الصفحة	الكلمة	شرح الكلمة
	المسمعة	آلة يسمع بها صوت النفس وحركة القلب
	البدلة	حلة فيها قميص وسراويلات
	المعرض	مكان يعرض فيه المصنوعات والطرف والمخترعات
	المتحف	دار الآثار القديمة
	مليون	عشرة مائة الف
	المنظرة	آلة يستعملها ضعاف النظر لمساعدة العين وتقوية النظر
	الوسامة	النشان الذى يمنح الطالب السابق او الجندى المستحق
	المصلحة	ادارة من ادارات الحكومة
	الرشاش	الرصاص الصغير الذى يصاد به الطيور
	المدافع	آلة من حديد تدفع القنابل تستعمل فى الحروب.

الصفحة	الكلمة	شرح الكلمة
	الاسطول	مجموع سفن حربية
	القاطرة	العربة البخارية التي تجر القطار
	القطار السبّاق	أسرع القطر الذي يسير في الهند قطار البريد
	القطار السريع	قطار بين السباق والوقاف
	القطار الوقّاف	قطار الركاب الذي يقف على كل محطة
	الموقد	المكان الذي يلقى فيه الفحم و يشتعل فيه النار.
	الوقاد	خادم القطار الذي وظيفته مراقبة النار والماء
	امين القطار	مراقب القطار الذي يسافر في مؤخر القطار ويهز المبرق
	المصد	الآلة التي توقف بها السيارة والقطار.
	الباخرة	السفينة البخارية

فهرست الجزء الثاني من القراءة الراشدة

الرقم	الموضوع	الصفحة
(١)	شهامة اليتيم	٣
(٢)	كسرة من الخبز	٤
(٣)	عيادة المريض	١٠
(٤)	الكيمياء	١٣
(٥)	يوم صائف	١٤
(٦)	النظافة	١٧
(٧)	الحنين الى الشهادة (١)	٢٠
(٨)	الحنين الى الشهادة (٢)	٢٣
(٩)	كن أحد السبعة (١)	٢٥
(١٠)	كن أحد السبعة (٢)	٢٨
(١١)	العين (١)	٣١
(١٢)	العين (٢)	٣٣
(١٣)	أدب المعاشرة	٣٥
(١٤)	عيد الأضحى	٣٦

الرقم	الموضوع	الصفحة
(١٥)	تاريخ القميص	٣٩
(١٦)	الأسد	٤٢
(١٧)	غرور الدنيا	٤٤
(١٨)	رسالة الى رسول الله ص	٤٥
(١٩)	حادثة	٤٧
(٢٠)	فتن الاسلام	٥٠
(٢١)	الرماية	٥٢
(٢٢)	الجمل (١)	٥٥
(٢٣)	الجمل (٢)	٥٦
(٢٤)	انا هنا فاعرفوني	٥٨
(٢٥)	سفينة على البر	٦١
(٢٦)	الخليفة عمر بن عبد العزيز (١)	٦٣
(٢٧)	الخليفة عمر بن عبد العزيز (٢)	٦٦
(٢٨)	في بيت ابي ايوب الانصاري	٦٨
(٢٩)	الامام مالك بن انس	٧٠
(٣٠)	القاطرة (١)	٧٤

الرقم	الموضوع	الصفحة
(٣١)	القاطرة (٢)	٧٧
(٣٢)	جسم النبات (١)	٨٠
(٣٣)	جسم النبات (٢)	٨٢
(٣٤)	الببغاء	٨٥
(٣٥)	الحجاج والفتية	٨٦
(٣٦)	انا تراب	٨٨
(٣٧)	السلطان محمود بن محمد الكجراتي	٩١
(٣٨)	الباخرة (١)	٩٤
(٣٩)	الباخرة (٢)	٩٧
(٤٠)	جسم الطيور	١٠٠
(٤١)	شير شاه السوري (١)	١٠٤
(٤٢)	شير شاه السوري (٢)	١٠٧
	شرح الكلمات المستعملة	١٠٩

الموضوعات بحسب الأغراض

١- دروس من التاريخ الاسلامي

شهامة اليتيم

الحنين الى الشهادة (١) (٢)

رسالة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سفينة على البر

فى بيت ابى ايوب الانصاري رضـ

٢- رجال التاريخ الاسلامي

فتى الاسلام

الخليفة عمر بن عبد العزيز (١) (٢)

الامام مالك بن انس

السلطان محمود بن محمد الگجراتى

شير شاه السورى سلطان الهند (١) (٢)

٣- دروس الأشياء

كسرة من الخبز

العسل (١) (٢)

تاريخ القميص

أنا هنا فاعرفوني

أنا تراب

٤- الدروس الدينية والخلقية

الكيمياء

كن أحد السبعة (١) (٢)

٥- الوصف وما يتصل بالحياة

عيادة المريض

يوم صائف

النظافة

عيد الأضحى

حادثة

الرماية

٦- ما يتصل بالحيوان والنبات

الأسد

الجمل (١) (٢)

جسم النبات (١) (٢)

جسم الطيور (١) (٢)

٧- المخترعات الحديثة

القاطرة (١) (٢)

الباخرة (١) (٢)

٨- شعر ومُلح

أدب المعاشرة

غرور الدنيا

الببغاء

الحجاج والفتية

قام بالنشر
مكتبة الاسلام الكويت

قام بالطبع
دار [illegible] الكويت